# نهضة الإمام الحسين عليه السلام إشكالية الحدث والمكان

الأستاذ المساعد الدكتور
رحيم علي صياح
جامعة ميسان ـ كلية التربية الأساسية
dr.rahem2012@yahoo.com

## المقدمة:

انتهج الأمويون منهجاً يؤكد حكمهم وسعيهم في التسلط على رقاب الناس فبدؤوا ببث الأحاديث التي توجب طاعة الحاكم الفاسق والسلطان الجائر، وبتصفية الشخصيات الموالية للأهل البيت التي كانت تبث علومهم وتنشر فضائلهم، وهذا النهج الذي انتهجه الأمويون ينافي قيم الإسلام التي نادت بالعدل والثورة على الظلم والجور.

والإسلام بحقيقته إنما هو دين العدل والحق ضد الباطل، فكانت نهضة الإمام الحسين ضد تلك القيم المنحرفة والأفكار المخالفة لقيم الإسلام الصحيح والتي بدأت تترسخ في عقول العوام بعد ما بثّها بينهم علماء السلطان.

فاستثمرَ الإمام الحسين عليه السلام كونه سليلَ رسول الله صلى الله عليه وآله مكانته في المجتمع ليعلن ثورته ضد هذه المبادئ، وليعطي الثورة زخما لا يمكن لأي شخصية أخرى في العالم الإسلامي أن تصنعه أو تضيفه لها.

فهو الحسين سبط النبي الهادي صلى الله عليه وآله يعلن رفضه، ويجسد هذا الرفض بدمه ليعلن للأمة أن لا يركنوا إلى الضلالة ولا يخضعوا لطاعة جائر، فالإسلام كرامة، والدين عز المؤمن، وأن أفضل الجهاد كلمة حق في وجه سلطان جائر، وأن أنبل غاية دم يراق ليصنع الحرية للأجيال.

## تأملات في أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام:

من الصعوبة بمكان الخوض في أسباب الثورات، والعوامل التي أفرزتها إذ لا يوجد في الحقيقة سبب واحد، بل هي مجموعة أسباب وظروف موضوعية حققت قيام الثورة،

وفرضت التوقيت على الثائرين، ولذلك من الصعب علينا أن نضع سلماً بالأولويات ومن من الأسباب، كان السبب الرئيس أو الحاسم في قيام الثورة، أو دراسةً الظروف التي أدت إلى اختيار الوقت لإعلان الثورة.

ولا يمكن لأي باحث أن يقطع بأن هذا السبب أو ذلك كان هو السبب المباشر، أو أن هذه الظروف قد أملت على الثائرين اختيار وقت الثورة، أو أن نخطّئ الثائر باختياره للوقت، فنحن مهما تحرينا ودققنا في الأسباب والأوضاع لا يمكن لنا أن نسبر نفوس الثائرين وعقولهم، وما الذي يدور بخلدهم، وما الظروف والأوضاع التي كانت سائدة حينذاك، والمعلومات والحقائق التي تجمعت لديهم وحتمت عليهم القيام بثورة معينة في وقت معلوم.

ومن هذه الثورات تلك الثورة الخالدة التي لا يزال أوارها يشتعل، فتقتبس منها الأمم والشعوب مشاعل الحرية والكرامة والثورة على الظالمين، وأعني بها ثورة الإمام الحسين، إنها ملحمة الطف الخالدة.

ليس من اليسير تلمس الأسباب التي دفعت الحسين عليه السلام لمناهضة الأمويين والثورة عليهم؛ ذلك أنها ثورة على مجمل قضايا العصر التي شهدها الحكم الأموي؛ سياسية واجتماعية واقتصادية فضلا عن جانبها العقائدي[1].

ونحن إذ نحاول أن نصل إلى الأسباب الحقيقية التي أدت بالإمام الحسين عليه السلام إلى إعلان ثورته، ومقارعة الظلم الأموي، والعودة بالدين الإسلامي إلى شرعته الأصلية والى انتمائه الطبيعي، وبعده العالمي، نجد لزاما علينا أن نقرأ خطبة الإمام الحسين عليه السلام في جيش الأمويين، فهو يحدد لنا ويبين الأسباب التي توجب الثورة، والوقوف بوجه الظلم والظالمين، ولذلك سوف نبتعد قليلا عن الأسباب التي يعتمدها معظم الباحثين على أنها هي أسباب الثورة، وفي مقدمها البيعة لزيد بالخلافة بعد معاوية، على الرغم من اعترافنا بأنها سبب من الأسباب المهمة، لكن باعتقادنا أن البيعة ليزيد ليست سببا كافيا لإشعال الثورة بقدر ما كانت سببا في تعجيل الثورة، وفي فرض توقيتها على الإمام الحسين عليه السلام.

فالأسباب كانت كثيرة ومهمة، فمنذ زمن معاوية والحسين كان يدرك ذلك، ويلاحظ تأثيرها في الدين والمجتمع، وكان ذلك يقلقه ويقض مضجعه، وهو يرى تغيير معالم السُّنة، وتشويه معالم الدين، وبث روح الجاهلية، والسير بالأمة بعيدا عن قيم الإسلام.

وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله: وبعض الناس يركّزون على سلوك يزيد الشخصي، ويصورونه على نحو يفهم منه الناس خطأ أن التغيير الذي نهض الإمام لمنعه كان فقط مجيء شخص فاسد سيء الخلق إلى السلطة، وغير أنّه حتى بعد التسليم بأسوأ ما يمكن تصوره عن سيرة يزيد وسلوكه الشخصي كما هو، لا يمكن التسليم بأن النظام إن كان قائما على أسس صحيحة، فإن محض مجيء شخص فاسد الخلق إلى سدة الحكم يمكن أن يكون أمرا عظيما، ينفذ منه صبر رجل واع فاهم عالم بالشريعة علما عميقا كالإمام الحسين عليه السلام؛ لذا فإن هذا الجانب الشخصي في يزيد لم يكن التغيير الحقيقي الذي أقلق الإمام، إن الأمر الواضح الذي يظهر أمامنا جليا من دراسة التاريخ دراسة عميقة أن تغير دستور الدولة الإسلامية ومزاجها وهدفها كان هو الفساد الذي بدأ بولاية عهد يزيد ثم الجلوس على العرش فيما بعد. فكان تغير الاتجاه هو الذي رآه الإمام الحسين عليه السلام، وقرر أن يقاتل ويضحي بروحه(٢).

ومن ذلك يمكن لنا القول إن مجيء يزيد للحكم هو السبب الذي عجل بالثورة لكنه ليس السبب الذي جعل الإمام الحسين يفكر بالثورة وبضرورة التغير، إذ التفكير بالثورة والتخطيط لها بدأ منذ زمن معاوية وكانت الوفود تأتي الإمام الحسين عليه السلام، وتطلعه على أوضاع الأمة، وما كان يعانيه شيعة أهل البيت من الظلم والاضطهاد، وهي أمور لم تكن خافية على الإمام الحسين عليه السلام، ووصل من حراك الإمام الحسين عليه السلام ونشاطه السياسي ما اثار خوف معاوية.

وكذلك لا يمكن لنا أن نجعل من هذه الوفود والكتب التي أرسلت للإمام الحسين عليه السلام من أهل الكوفة والتي تدعوه إلى الثورة والقيام بالأمر ولاسيّما بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، أن نجعل منها السبب الرئيس للثورة، فقد كان الإمام الحسين عليه السلام يدرك مسؤوليته التاريخية في الحفاظ على الإسلام بوصفه الامتداد الشرعي لصاحب الرسالة، وكذلك يدرك حجم المخاطر التي تحيط بالإسلام والمسلمين، فكان الواجب يدعوه إلى التصدي لهذه الانحرافات، والوقوف بوجه المد الأموي الذي حاول أن يسير بالإسلام إلى خارج الشريعة، والابتعاد عن النهج المحمدي، وصبغ الدين بصبغة الجاهلية، وتحويل الحكم من حق للآل محمد صلى الله عليه وآله إلى الوراثة في بيت آل أبي سفيان، وجبر الناس على ذلك، فكان

لابد لمواجهة هذه الأخطار من رجل يقف بوجهها، ويعيد للأمة كرامتها، وللدين عزته، وللشريعة نهجها المغيب، فكان الإمام الحسين عليه السلام هو الرجل والفكر الملهم لهذه الأمة، ولم يكن به حاجة إلى أنصار، كما لم يكن به حاجة إلى منهج، فالنصير كان الله تعالى، فقد نذر نفسه لله، والنهج كان دين جده المصطفى.

وإلى هذا أشار الشيخ العلايلي[٣] بقوله: "علمنا الحسين عليه السلام كيف نحافظ على ذاتيتنا، وكيف نتناهى في الدفاع عن كرامتنا، وكيف نعمل في سبيل القضية المقدسة، وكيف يجب على الزعيم العاقل أن يكون إرادة ماضية لا يلين ولا يستكين".

عندما نقرأ سيرة الإمام الحسين عليه السلام في انطلاقته، فإننا نجد أن العنوان الذي كان يحكم سيرته إنّما هو عنوان الإصلاح في أمة جده، الإصلاح الفكري في مواجهة الانحراف الفكري، والإصلاح السياسي في مواجهة الانحراف السياسي، والإصلاح الاجتماعي في مواجهة الانحراف الاجتماعي[٤].

نعم كان الحسين عليه السلام مصمما على مواجهة هذا الانحراف سواء بوجود الأنصار أم بعدم وجودهم، فالحسين عليه السلام كان أمة بذاته، وكان قضية، وكان مصير الإسلام وسر وجوده، فهو والحال هذه لم يكن يبني آمالا عريضة على كتب أهل الكوفة ورسائلهم على ما تمثله لديه من أهمية، ومن حجة عقلية، فبوصفه زعيما دينيا لا يمكن له إهمال هذه الكتب والرسائل، ولا إهمال تطلعات أصحابها على الرغم من معرفته الدقيقة بالكوفة وأهلها، وطبيعة المجتمع فيها، وبالسياسة التي كان ينتهجها معاوية مع زعمائها وأشرافها الذين استمالهم بالعطاء والمنع.

وقد أوضح الكاتب خالد محمد خالد[٥] رأيه في ذلك بقوله: "وفي رأينا أن كل حوافز الثورة على الضلال كانت كامنة في وعيه ووجدانه، وكانت وليدة إدراكه السديد لحق الدين عليه، واستعداده للتضحية في سبيله، وليس نتيجة موقف أهل الكوفة الذين أرسلوا إليه كتبهم ووفودهم يدعونه إليها ليبايعوا، وليسيروا تحت لوائه إلى مقاومة يزيد، أجل ما كان الحسين ليدع دين الله ودنيا الناس ألعوبة في يد يزيد".

كان الإمام الحسين عليه السلام لهذه الأسباب يفكر في النهضة منذ استشهاد الإمام الحسن عليه السلام عندما أصبح زعيما للأمة، وهذا ليس معناه أنه لم يفكر بها قبل هذا الوقت، ولكنه كان

تحت إمرة أخيه الإمام الحسن عليه السلام الذي أملت عليه الظروف مهادنة معاوية، فما كان من الإمام الحسين عليه السلام إلا الالتزام بما التزم به أخوه.

بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام أصبح الإمام الحسين عليه السلام زعيما للمسلمين، وكان يرى أن معاوية لم يطبق بنود الاتفاق الذي أبرمه مع الإمام الحسن عليه السلام، بل كان ينتهج سياسة تبعد الأمة عن الدين، وتحول الحكم من حكم إسلامي إلى حكم الأسرة الواحدة، وكان يقتل على الظنة، واستحوذ على موارد المسلمين، واستخدم العطاء لأغراض سياسية، فبدأت سياسة معاوية تؤثر في الأمة، وبدأ الانحراف يظهر في المجتمع، وأخذ دين جديد يظهر بين المسلمين دين اسمه الإسلام ولكن بلباس أموي.

فبدأ الحسين عليه السلام بالتحرك لمواجهة هذا الانحراف الخطير الذي بدأ يعصف بالمجتمع الإسلامي، والذي كان يتطلب منه الوقوف بحزم وثبات لإعادة الأمور إلى نصابها، وتصحيح هذا الانحراف الخطير.

ذكر ابن سعد[٦] ما نصه: "وكان أهل الكوفة يكتبون إلى حسين يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية".

وكان أهل الكوفة قد كتبوا للإمام الحسين عليه السلام يبايعونه، ويدعونه للقيام بالأمر بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام: " ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، السائرة بسيرتك، المنتظرة لأمرك"[٧].

فكتب إليهم الإمام الحسين عليه السلام: " إني لأرجو أن يكون رأي أخي رحمه الله في الموادعة، ورأيي في جهاد الظلمة رشدا وسدادا، فالصقوا بالأرض، واخفوا الشخص، واكتموا الهوى، واحترسوا من الأظناء ما دام ابن هند حيا، فإن يحدث به وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله"[٨].

وذكر أحد الباحثين[٩] أنه لم يكن الحسين عليه السلام متغاضيا عن حقه الذي خولته له شروط الصلح، ولا هو بغافل عن مجريات الأحداث التي كانت سائدة في المجتمع الإسلامي، وكانت وجوه القوم من مختلف الجماعات تفد إليه، وتتحدث معه منها المعلن، وآخر في الخفاء خشية أعوان الحاكم وعيونه، ومع هذا فإن ما يحدث لم يخف على مسامع مروان بن

الحكم والي الأمويين في المدينة، فكتب إلى معاوية: "يعلمه ان رجالا من أهل العراق قدموا على الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهم مقيمون عنده يختلفون إليه، فاكتب إلي بالذي تراه"(١٠). واتبعه بكتاب آخر: "إني لست آمن أن يكون الحسين مرصدا للفتنة وأظن يومكم من الحسين طويلا"(١١).

وكتب معاوية كتاب للحسين عليه السلام بعد أن وصلته الأخبار من عامله على المدينة: " أما بعد فقد انتهت إلي منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وأن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتق الله ولا تردن هذه الأمة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنَّك الذين لا يوقنون"(١٢).

فكتب إليه الإمام الحسين عليه السلام ردا صاعقا جاء فيه:" أما بعد.. فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور لم تكن تظنني بها رغبة عنها، وأن الحسنات لا يهدي لها، ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنه رقي إليك عني فإنما رقاه الملّاقون المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون ما أردت لك حربا ولا خلافا، وإني أخشى الله في ترك ذلك، ومنك ومن حزبك القاسطين المحلين حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم، ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكدة، جراءة على الله، واستخفافا بعهده، أولست بقاتل عمرو ابن الحمق الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال، أولست المدعي زيادا في الإسلام، فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع النخل، سبحان الله يا معاوية، لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك، أولست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وآله الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منة عليكم، وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمة في فتنة، وإني لا أعلم فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلتَ فيما قلت: انظر

لنفسك ولدينك ولأمة محمد، واني والله ما اعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنه قربة إلى ربي، وإن لم أفعل فأستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت فيما قلت: متى تكدني أكدك، فكدني يا معاوية فيما بدا لك فلعمري لقديما يكاد الصالحون، وإني أرجو أن لا تضر إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك، فكدني ما بدا لك، واتق الله يا معاوية، واعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيا يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية والسلام"[١٣].

وذكر ابن عساكر[١٤] أن معاوية كتب للإمام الحسين عليه السلام: "إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء، وقد أنبئت أن قوما من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، وأهل العراق من قد جربت قد افسدوا على أبيك وأخيك فاتق الله واذكر الميثاق فانك متى تكدني أكدك".

فكتب إليه الإمام الحسين عليه السلام: "أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عني جدير، والحسنات لا يهدي لها إلا الله، وما أردت لك محاربة، ولا عليك خلافا، وما أظن أن لي عند الله عذرا في ترك جهادك، وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة"[١٥].

من جواب الإمام الحسين عليه السلام نلاحظ أن الإمام عليه السلام كان يدرك غاية الإدراك، ومتيقن تمام اليقين أن البيعة لمعاوية قد نقضت نفسها بنفسها، لأن معاوية أفرغ البيعة من محتواها، ولم يلتزم بشروط الهدنة التي وقعها مع الإمام الحسن عليه السلام، ولهذا لم يذكر في جوابه لمعاوية التزامه الصريح بالبيعة، وإنما اكتفى بأنه لا يريد له الحرب أو الخلاف، وأكبر الظن أن هذا الموقف من الإمام عليه السلام كان بانتظار إنضاج الظرف السياسي، وإتمام الحجة على معاوية، وعلى العكس من ذلك أكد له أن جهاده واجب، وأنه يخشى الله تعالى في عدم مجاهدته، وإعلان الثورة عليه.

**الخروج على معاوية:**

بعد الاطلاع على جواب الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية، وذكر ما قام به من أعمال خارجة عن ملة الإسلام، لنا أن نسأل: لماذا لم يخرج الإمام الحسين عليه السلام ويعلن الثورة، وهو يرى أن جهاد معاوية حق واجب، بل إنه يخشى الله تعالى في ترك جهاده؟ أكانت البيعة هي العقبة

الوحيدة في طريق الثورة؟ أم أن هناك سبب آخر؟

لو دققنا النظر في كتاب الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية، وقرأناه قراءة متأنية، فإننا سنجد بكل وضوح أن البيعة لم تكن ملزمة للإمام، ولم تكن مانعا يحول دون القيام بالثورة؛ لأن معاوية قد خالف شروط البيعة، وأفرغها من محتواها، فهي لم تكن بيعة عامة مطلقة، أو صكا على بياض، وإنما كانت على وفق شروط يلتزم بها الطرفان، ومتى ما أخل أحد الطرفين بشروطها تصبح غير ذات قيمة، وإلى ذلك أشار الإمام الحسين عليه السلام بقولة: "وما أظن أن لي عند الله عذرا في ترك جهادك"(١٦)، فلو كانت البيعة نافذة وملزمة، والإمام عليه السلام مسؤول عنها أمام الله تعالى لما قال ذلك.

وأشار طه حسين إلى ذلك(١٧) بقوله: "وقد نقض معاوية هذه البيعة ما في ذلك شك، ونقضها مرتين: أحداهما حين قتل من قتل من أهل الكوفة...، والثانية حين بايع بولاية العهد لابنه يزيد، وجعل الخلافة وراثة ينقلها لابنه كما ينقل إليه ماله، مع أن أمر الخلافة ليس ملكا خاصا للخليفة".

وقال باحث آخر(١٨): "البيعة لمعاوية كانت ظرفية، ومبنية على معطيات أوجبها الصلح بين الحسن ومعاوية، ولكنها بيعة لم يلتزم الحسين ضمنا بها، هذا إذا التفتنا إلى موقفه المبدئي من الحكم الأموي، والانحراف الذي سار فيه فضلا عن العناوين التي أطلقها في خطبه ورسائله حين قرر الخروج إلى العراق".

لم يكن من شك إذن أنَّ هناك أسبابا أخرى كانت تمنع الإمام الحسين عليه السلام من الخروج على معاوية، فالإمام عليه السلام لم يكن بعيدا عن المجتمع، ولا بعيدا عن شؤون الآمة، بل كان خبيرا بها مطلعا على تفاصيلها.

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام مقتنعا بالعهد لمعاوية، فلم يبقِ معاوية للعهد أثرا، ولم يلتزم بما ألزم نفسه به، لذلك كان الإمام عليه السلام متحرجا من هذا العهد، فقد كان يرى أنه لا قيمة له أمام الله تعالى، ويجسد ذلك بقوله: "وما أظن أن لي عند الله عذرا في ترك جهادك، وما اعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة"(١٩).

إذن لم تكن البيعة بحد ذاتها هي العقبة في طريق الثورة على معاوية، بل المشكلة كانت

فيما أضفته البيعة من شرعية على حكم معاوية في نظر العامة من المسلمين، فأصبح الحاكم الشرعي وخليفة المسلمين.

نعم كان معاوية فاسقا ماجنا، لكنه كان مستترا لا يرى منه عامة المسلمين إلا الصلاح والتقوى، لذلك كان مقبولا عند عامة المسلمين، كما أنه اتخذ الكثير من الخطوات التي جعلت العرب ولاسيما الارستقراطية العربية الناشئة تلتف حوله، وتؤيد حكمه، مثل تمييز العرب بالعطاء، وحرمان الموالي منه، والهبات والإقطاعات الواسعة، كما أنه أخذ يبث الأحاديث الموضوعة التي لا تبيح الخروج على الحاكم، وتضفي على منصب الخلافة طابع القدسية، والأنكى من ذلك وضعت أحاديث تدعو إلى الخنوع، وتحث عليه، وتقدس الذل والمهانة، وتفرض على المسلمين التقيد بشرع الحاكم الظالم الغشوم ومنهجه حفاظا على الجماعة، وكأن الجماعة لا يمكن أن تتحقق بالعدل والإنصاف والوقوف بوجه الظلم والظالمين، ومن ذلك ما جاء في صحيح مسلم[٢٠] أن حذيفة بن اليمان سأل رسول الله ﷺ: قلت يا رسول الله إنا كنا بشر، فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: "نعم" قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: "نعم" قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: "نعم" قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنّون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس"، قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: "تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع".

وأيضا ما أخرجه البخاري[٢١] عن رسول الله ﷺ أنه قال: " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"، كما أخرج قوله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة"[٢٢]، وقوله ﷺ: "من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية"[٢٣]، وقوله ﷺ: "إنكم سترون بعدي إثرة وأمورا تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: "أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم"[٢٤].

بمعنى أن الحاكم يأكل حق الرعية، ويستأثر بخيرات الأمة، وهم لا يسألونه حقهم، بل يتركونه يعمل ما يشاء، ويسألون الله حقهم، وهذا من العجب الذي يناقض كل ما جاء به الدين من العزة والكرامة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن هذه الأحاديث أيضا ما أخرجه مسلم[٢٥] عن سلمة بن يزيد الجعفي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية والثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس، وقال:" اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم"، ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وآله: "إنكم ستلقون بعدي إثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[٢٦].

هذه الأحاديث وغيرها جعلت من الناس عبيدا، وأفرغت الإسلام من أهم ميزاته وهي الثورة بوجه الظلم والطغيان، وبهذا الفكر المعوج استغل معاوية أوضاع المسلمين، فأصبحت الأصوات التي تنادي بالعدل، وذكر أهل البيت وكأنها نشاز، أو تغرد خارج السرب الذي يريده الحكم الأموي.

فقد أورد ابن أبي الحديد[٢٧] عن الإمام الباقر ما نصه: "ثم لم نَزَل أهل البيت نُستذلُّ، ونُستضام، ونُقصى، ونُمتهن، ونُحرم، ونُقتل، ونَخاف، ولا نَأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلد، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله، وما لم نفعله؛ ليبغِّضونا إلى الناس".

وتتضح سياسة معاوية في ما أوصى به واليه على الكوفة المغيرة بن شعبة: "لا تترك شتم علي وذمه، والترحم على عثمان، والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم"[٢٨].

في مقابل هذه الموجة العاتية عقد الإمام الحسين عليه السلام مؤتمرا في منى دعا إليه مؤيديه وأنصاره ووجوه الصحابة من المهاجرين والأنصار، وخطب فيهم مذكرا إياهم بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي توجب على الناس موالاة أهل البيت والتمسك بهم، وكذلك فضح أعمال معاوية في تغيير السنة وقتله شيعة أهل البيت، فقد ورد أنه قبل موت معاوية بسنتين حج الحسين بن علي عليه السلام ومعه عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس، وقد جمع الحسين بن علي عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم ومن لم يحج، ومن الأنصار ممن يعرفونه وأهل بيته، ثم لم يدَع أحدا منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أبنائهم والتابعين ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم، فاجتمع عليه بمنى أكثر من ألف رجل،

والحسين عليه السلام في سرادقه، عامتهم التابعون وأبناء الصحابة، فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيبا، فحمد الله واثني عليه، ثم قال: "أما بعدُ.. فإن الطاغية قد صنع بنا، وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم، وشاهدتم وبلغكم، وإني أريد أن أسألكم عن أشياء، فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي، واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموه ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون"، فما ترك الحسين عليه السلام شيئا أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسره، ولا شيئا قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: أللهم نعم قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: أللهم قد حدثنا من نصدقه ونأتمنه، حتى لم يترك شيئا إلا قاله، ثم قال: "أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدثتم به من تثقون به"[٢٩].

وهذا الانحراف الخطير كان من أهم الأمور التي أقلقت الإمام الحسين عليه السلام، وهو يرى المجتمع يسير نحو الهاوية وتنتزع منه أدميته، فقد كانت طاعة الخلفاء أهم أسباب القول بنيابة الخليفة عن الله، وكان من أهم أسباب خروج الإمام الحسين عليه السلام على يزيد هو كسر قداسة منصب الخليفة في نفوس المسلمين[٣٠].

لم يخرج الإمام الحسين عليه السلام إذن على معاوية لأن البيعة كانت تقيده، بل لأن البيعة أضفت على حكم معاوية شرعية مقدسة في رأي العامة، فلا يمكن المساس بها، والخروج على الجماعة.

وقد أتيحت لمعاوية منذ أن عمل لعمر بن الخطاب في الشام الفرصة لأن يبني لنفسه ملكا، استطاع به امتلاك قوة عسكرية حارب بها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن حقه الشرعي في الخلافة بعد خذلان أهل الكوفة، وهو ما أضفى على خلافة معاوية شرعية في نظر الأمة، ومن ثَمَّ لو خرج الإمام الحسين عليه السلام على معاوية، لأصبح في نظر الأمة خارجا عن الشرعية، ومفرقا لوحدة المسلمين، لكنه انتظر الخطوة التالية لمعاوية، والتي تمثل القمة في سياسة الانحراف التي اتبعها، أو هي الثمرة التي حاول معاوية أن يجنيها من كل دهائه ومكره طوال سنين حكمه، وهي تنصيب ابنه يزيد، وتحويل الخلافة من حق لأهل بيت النبي إلى حق أسري خاص بآل أبي سفيان.

وهذه الخطوة من الإمام الحسين عليه السلام كانت في غاية الحكمة؛ ليضفي على ثورته طابع الشرعية، ويطبعها بطابع الإصلاح، وإزالة المفسدين، وليمنحها العنفوان الذي أبقاها متوهجة إلى يومنا هذا.

وهنا لنا أن نسأل: لو أن العمر امتد بمعاوية فهل كان الأمام الحسين عليه السلام سيعلن الثورة؟

نقول إن الإمام الحسين عليه السلام كان رافضا لسياسة معاوية التي وصلت قمة الانحراف عن الشرع الإسلامي بتولية يزيد العهد، فلو أن معاوية أجبر الإمام الحسين عليه السلام على البيعة ليزيد لكان عليه السلام ثائرا؛ إذ لم يكن في نظر الإمام عليه السلام التركيز على الأشخاص بقدر ما كان التركيز على السياسة التي حاولت حرف الدين الإسلامي عن مساره الصحيح، والعودة بالناس إلى شرع الجاهلية المقيت.

وكان حدوثها حتميا حيا كان معاوية أو ميتا، والحسين عليه السلام كان حاسما في ذلك حين قال لعبد الله بن عباس: "قد عزمت ولابد من المسير"، فهل كانت الثورة أرجئت، أو طويت صفحتها لو طال الأمد بمعاوية؟ وهل كان يزيد خليفة أقل شدة منه في الموقف من معارضيه(٣١).

فلم يكن يدُر بخلد الإمام الحسين عليه السلام أن يضفي الشرعية على فاسق زنديق كيزيد بن معاوية، وهو عليه السلام الذي وصفه بأنه "يشرب الشراب ويلعب بالكلاب"، لذلك لم يخامرنا شك في أن سيد الشهداء كان سيعلن ثورته، لو حاول معاوية أن يأخذ البيعة بالجبر والإكراه.

وهذا ما كان يدركه معاوية أيضا، لذلك لم يحاول أن يأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام بالجبر والقهر؛ لأنه يدرك تمام الإدراك أن رفض الحسين عليه السلام قاطعا حاسما نابعا من الشريعة والرسالة المحمدية، وأن هذا الرفض سيوصل الأمر إلى الثورة وهو مالا يريده معاوية.

إن رفض الإمام الحسين عليه السلام البيعة ليزيد قد كشف عن زيف الشرعية التي حاول معاوية تغليف حكمه بها، فلو أن الإمام الحسين عليه السلام بايع يزيد لأصبح فعل معاوية سنة من سنن الإسلام يستن بها، ويبني عليها فقهاء العصر، لكن هذا الرفض، وهذه الـ (لا) المدوية جعلت معاوية غرضا لسهام النقد والتجريح، وأثبتت للداني والقاصي خروجه ومخالفته للشريعة المحمدية، وجعلت الأمة تفرق بين الخلافة والملك، فبمجيء معاوية انقطعت الخلافة

وأصبحت ملكا، كما أن هذا الرفض سلب يزيد الشرعية، بل إنه سلب شرعية من جاء بعده من الحكام المتسلطين، فتحول الحكم من خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سلطة الجبر والإكراه، وإن تسموا بمسميات إسلامية.

لقد أبى الحسين عليه السلام لشرعية زائفة أخذت بالغلبة والقهر، وأعني بها خلافة معاوية، أن تؤسس لشرعية الفسق والعهر والفجور، فكان لابد من الخروج؛ ليزيل الشرعية عن معاوية، وعن من يأتي بعده.

كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام تتمحور حول مسألة المحافظة على عنفوان الرسالة، وعلى عزة الرساليين، وعلى سلامة الخط الرسالي، وعلى رفض إعطاء شرعية الحكم الظالم عندما يريد أن يفرض نفسه مصدرا للحكم، بحيث يأخذ شرعية الحكم من الرساليين عندما يحكمهم، هذا هو المحور الذي تدور حوله ثورة الإمام الحسين عليه السلام[٣٢]، لأن الإمام الحسين عليه السلام قد أدرك أن بيعته يزيدا تتناقض تماما مع الشرع ومع الحقيقة، ومع معتقداته وخط الكمال الإسلامي الذي يمثله، وان بيعته يزيدا ستكون بمثابة اعتراف بشرعية خلافة غير شرعية، وفتوى ضمنية بأهلية يزيد للخلافة، وهو الرجل الذي يجاهر بفسقه ومجونه وحتى بكفره[٣٣].

لقد عاب الإمام الحسين عليه السلام على معاوية في رسالة وجهها له أخذه البيعة ليزيد، وهو الفاسق السكير، فكيف إذن يعطيه البيعة، ويضفي على فسوقه الشرعية، فالبيعة لا تعطي فقط الشرعية للحاكم، وإنما تعطي الشرعية للفسق والعهر والخمور وترك الصلاة، وتغيير معالم الدين، وطمس الإسلام، وقتل جميع الأنبياء بقتل دين خاتم الأنبياء، وأن يكون الضحية لكل الأديان السماوية التي ختمها الله بالإسلام.

إن معاوية بن أبي سفيان.. كان يمثل وبجدارة الطعنة القاتلة التي استقرت في صدر الإسلام[٣٤]، ففي زمن معاوية انتشرت الرذائل بكل أنواعها، وتفشت النقائص بكل أصنافها، حتى أن المؤمن بات يخاف من إظهار إيمانه، وحبه لأهل بيت رسول الله(وآله صلى الله عليه)، وكأنه يجني إثما عظيما، أو كأنه يرتكب ما لا كفارة له أبدا[٣٥].

معاوية أول من انحرف عما شرع الإسلام، وأمر به القرآن، وأكدته السنة تأكيدا، وعاد إلى عرف جاهلي غيره الدين الجديد[٣٦]، فمعاوية بإلحاق زياد بأبي سفيان قد خالف مخالفة

ظاهرة عما ألف المسلمون من حكم دينهم، وشاركه زياد في هذه المخالفة، وكان قد بايع المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله، فهو بهذا الاستلحاق عمل بغير ما أمر الله ورسوله، فلا غرابة في أن يرى جماعة من صالحي المسلمين أن بيعته قد أصبحت لا تلزمهم، وأن يخضعوا له كارهين لا طائعين، وساخطين لا راضين، وأن يتربصوا الدوائر، وينتهزوا الفرص؛ ليخرجوا حين يتاح لهم الخروج(٣٧).

**أسباب الثورة:**

كما أسلفنا القول إن الإمام الحسين عليه السلام لم يثر على يزيد لكونه يزيد، وإنما ثار على الانحراف السياسي والاجتماعي والعقائدي الذي انتهجه معاوية، وأوصل الأمة إلى حالة يرثى لها من الذل والهوان، فرضيت بيزيد خليفة.

كانت المشكلة السياسية في زمن الإمام الحسين عليه السلام إنّما هي مشكلة الحاكم المنحرف الذي أعطى حكمه صورة الإسلام من دون أن يمثل في عمقه حكم الإسلام(٣٨)، وقد وصف فلهاوزن معاوية بقوله: "إن معاوية لم يكن في قلبه تعلق عميق بالإسلام"(٣٩).

ليس الحسين عليه السلام الآن وهو الغارق في نفسية متملية من معاناتها، الناضجة بالفهم، والعمق، وروز الحقائق، إلا الرفض كل أنواع المبايعات، أكان المبايع له: يزيد الفاسق أم أبوه معاوية المحنك بحلاوة الملك، إن الحسين عليه السلام الآن هو المنتفض على كل الخط الذي رسمه عمر بن الخطاب؛ لأنه الخط الذي لعب فيه على هواه لعبا زريا بمصلحة الأمة، ورماها في فوهة المجهول(٤٠).

المشكلة - إذن - لم تكن البيعة ليزيد بحد ذاتها، إنما المنهج الذي أوصل يزيد إلى الحكم بعد أن انتهج معاوية سياسة بعيدة عن روح الإسلام وقيمه النبيلة، وهذا ما شخصه الإمام الحسين عليه السلام، وبيّنه للناس، ودعاهم إلى الثورة عليه.

ولنا أن نقول إن خطبة الإمام الحسين عليه السلام في أصحابه وأصحاب الحر بن يزيد الرياحي في منطقة البيضة(٤١) توضح أسباب نهضته عليه السلام على الحكم القائم، فقد أورد الطبري أن الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر في البيضة قائلا: "أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "من رأى سلطانا جائرا، مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل

في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله"، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم علي بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم فيَّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغترَّ بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[٤٢].

وإذا أردنا أن نفهم أسباب الثورة الحسينية بشكل صحيح علينا العودة لشروط الهدنة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، هذه الهدنة التي بموجبها تسلم معاوية السلطة، وهذه الشروط هي التي أوجبت البيعة والالتزام بها، كانت ضرورية لاستمرار تلك البيعة، وأي خرق لشرط من هذه الشروط ينفي الشرعية عن معاوية بعد أن أعطى أعظم المواثيق على الالتزام بها والوفاء بمضمونها، ومن هذه الشروط:

١- تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين[٤٣].

٢- أن يكون الأمر للحسن من بعده[٤٤]، فإن حدث به حدث، فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد.

٣- أن يترك سب أمير المؤمنين، والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر عليا إلا بخير[٤٥].

٤- الناس آمنون حيثما كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم، ولا يخيف أحد من أصحابه[٤٦].

وذكر ابن عبد البر[٤٧] من الشروط: ألا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز، ولا من أهل العراق بشيء كان في عهد أبيه، وأن يكون الأمر من بعده للإمام الحسن.

أما ابن الصباغ[٤٨] فذكر ما نصه: "وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من

بعده عهدا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى، في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بن أبي سفيان عهد الله وميثاقه.

وقد ذكر الشيخ آل ياسين[٤٩] ضمن شروط الهدنة: "أن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل، وأولاد من قتل معه بصفين ألفَ ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتتبع أحد بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة، وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا، وأن لا ينال أحد من شيعة علي بمكروه، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب علي حيث ما كانوا.

يمكن أن نقول إن جل الشروط التي اشترطها الإمام الحسن، بل وأهمها كانت تخص الأمة الإسلامية أجمعها، فمعظم الشروط كانت تتحدث عن الأمن والأمان، وتحقيق الأمن الإنساني لمن يعيش على أرض الإسلام، وأعطى أهمية خاصة لأصحاب علي؛ لمعرفته بالطبع الجاهلي الذي يطبع أخلاق معاوية، وسعيه للثأر منهم والتنكيل بهم، وكذلك سعى الإمام الحسن عليه السلام بكل ما أوتي من قوة لإتاحة المناخ المناسب لأصحاب علي عليه السلام أن ينشروا الفكر الإسلامي الأصيل، والتعاليم المحمدية الصحيحة، ويتحدثوا بحرية في جو من الأمن، لذلك نرى التأكيد الكبير على مصطلح الأمان لأصحاب علي عليه السلام؛ لأن الهدف الأسمى من الهدنة كان الحفاظ على الدين المحمدي في مواجهة الدين الأموي الذي شوه الإسلام، وطبع الكثير من تعاليمه بطابع الجاهلية التي تمجد العادات على حساب العقل والوحي.

وهذا الذي أثار الإمام الحسين عليه السلام بعد أن رأى معالم الدين قد بدأت تطمس، وحرمة الإسلام تنتهك، والسنة خولفت، وعباد الله قتلت على الظنة والتهمة، وهُجرت العوائل، وقطعت الأرزاق، وصودر الفيء، وأصبح ملكا خاصا للسلطان.

ولو دققنا النظر في خطبة الإمام الحسين عليه السلام لوجدنا إنها تشير بلا أدنى شك إلى مخالفة

معاوية لشروط الصلح، التي أعطى أغلظ المواثيق على الوفاء بها من الالتزام بالكتاب والسنة، وأمان الناس وفرض العطاء، ومن هذه المخالفات:

**الجانب العقائدي:**

ففي جانب العقيدة والالتزام بما جاء بالكتاب والسنة كانت هناك مخالفات، بل وعناد وإصرار على المخالفة، وكأن المشرع غائب، بل كان المشرع هو معاوية نفسه، ومن هذه المخالفات قتل النفس المحترمة بلا ورع ولا تأسف، كقتل حجر بن عدي وأصحابه.

قالت عائشة: "يا معاوية أقتلت حجرا وأصحابه، فأين عزب حلمك عنهم؟ أما إني سمعت رسول الله يقول: "يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السموات"[٥٠].

فقد كان مقتل حجر إذن حدثا من الإحداث الكبار، لم يشك أحد من الأخيار الذين عاصروا معاوية في أنه كان صدعا في الإسلام، بل لم يشك معاوية نفسه في أنه كان كذلك[٥١].

وقتل عمرو بن الحمق الخزاعي، وقطع رأسه، فكان أول رأس طيف به في الإسلام، وقد كان معاوية قد حبس امرأته بدمشق، فلما أتي رأسه بعث به، فوضع في حجرها[٥٢].

قال ابن سعد[٥٣]: "أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق"، أما ابن حجر العسقلاني[٥٤] فقال: "أول رأس أهدي في الإسلام رأس عمر بن الحمق بعث به زياد إلى معاوية".

وكذلك حبس النساء بجرائر الرجال ليرغم الأزواج على تسليم أنفسهم إلى السلطة، وهو أمر لم يفعله أحد قبل معاوية، فقد ذكر اليعقوبي[٥٥] ما نصه: "وكان أول من حبس النساء بجرائر الرجال".

ومنها أيضا استلحاق زياد بن سميه، ووصل نسبه إلى أبي سفيان، وهذه مخالفة صريحة، بل ووقحة لسنة المصطفى، أول ما ردت به أحكام الشريعة علانية، فإن رسول الله قضى بأن الولد للفراش وللعاهر بالحجر[٥٦]، وقد علق السيوطي[٥٧] وهو يذكر أحداث سنة ٤٣ هجرية على ذلك بقوله:" وفيها استخلف معاوية زياد بن أبيه، وهي أول قضية غيَّر فيها حكم النبي في الإسلام".

ومن الأعمال القبيحة التي قام بها معاوية هي إلحاق زياد بن أبيه وهو مجهول الأب

بأبي سفيان، أي ادعى أن زياد أخوه، وهذا العمل مخالفة صريحة للإحكام الإسلامية[٥٨].

ومنها ولاية العهد ليزيد الفاسق، ومصادرة حق أهل بيت النبي، وتحويل الأمر إلى مبدأ الوراثة الذي جر على الأمة الفشل والوهن، وانتهى إلى المصير الذي نحن عليه، وقد علق طه حسين[٥٩] على ذلك بقوله: "وأمر آخر استحدثه معاوية في الإسلام، فغير به السنة الموروثة تغييرا خطيرا، وهو استخلاف ابنه يزيد بعده على سلطان المسلمين.

وقد أثارت هذه الأعمال علماء المسلمين وسخطهم على معاوية لخروجه عن السنة النبوية والشرع الحنيف، فقد وصف الحسن البصري معاوية بقوله: "أربع خصال كُنَّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله(وآله صلى الله عليه وآله وسلم):" الولد للفراش وللعاهر الحجر"، وقتله حجرا وأصحاب حجر فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر"[٦٠].

وكان سعيد بن المسيب يقول: "فعل الله بمعاوية ما فعل، فإنه أول من أعاد هذا الأمر ملكا"، وكان معاوية يقول: أنا أول الملوك[٦١].

**الجانب السياسي والاجتماعي:**

ولأن الدول المستبدة دائما تخاف الأفكار المعارضة، والعقائد التي تخالف عقيدتها، فإنها دائما ما تتعسف بقمع المعارضين، وتنزل بهم أشد العقوبات؛ لذلك فالإمام الحسن عليه السلام لم يترك ثغرة لمعاوية في قمع شيعة الإمام علي عليه السلام إلا أن يخرق وثيقة الهدنة، ويحنث بالأيمان التي قطعها على نفسه أمام المسلمين، فقد أكدت الوثيقة على ضرورة معاملة شيعة أمير المؤمنين بالعدل والإنصاف، وعدم التمييز بسبب الميول المذهبية والسياسية؛ فنصت الوثيقة على "أمان أصحاب علي حيثما كانوا، وأن لا ينال أحدا من شيعته بمكروه، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء"[٦٢].

وفي هذا الجانب تعرض شيعة الإمام علي عليه السلام لأشد العقوبات وأقساها من السلطة الحاكمة، وكانت الإجراءات التي اتخذت بحقهم لم يسبق لها مثيل، فقد كتب معاوية إلى

عماله: "ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة"(٦٣)، وذكر ابن أبي الحديد(٦٤) أن معاوية كتب أيضا: "من اتهمتموه بمولاة هؤلاء القوم فنكلوا به، واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولاسيما بالكوفة؛ حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنَّ عليه".

كما أورد ابن أبي الحديد(٦٥) عن المدائني أنه قال: " كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام".

وقد صور الإمام الباقر عليه السلام ما كان يلاقيه الشيعة من عظم البلاء على يد الأمويين بقوله: "وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، فكان من يذكر بحبنا والانقطاع ألينا سجن، أو نهب ماله، أو هدمت داره"(٦٦).

وكان من قتل من خيار رجالات الشيعة كما اسلفنا حجر بن عدي الكندي وأصحابه، فقد أورد الطبري(٦٧) أن زياد بن أبيه خطب في الجمعة، وأخر الصلاة، فقال حجر بن عدي: الصلاة، فمضى في خطبته، ثم قال: الصلاة؟ فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة، ضرب بيده إلى كف من الحصا، وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه، فلما رأى ذلك زياد نزل، فصلى بالناس، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره، وكثر عليه.

والحق أن هذه الحادثة ليست وحدها السبب الرئيس في مقتل حجر، بل حبه وانتماؤه إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وصلابته في قول الحق هي ما أزعجت السلطات، ورأت في وجوده تهديدا لكيانها، وإثارة للرأي العام على سياستها القمعية، لذلك بمجرد وصول حجر وأصحابه إلى معاوية أمر بقتلهم بمرج عذراء سنة (٥١هـ)، وكان لمقتل حجر وقع كبير في أمة الإسلام؛ لِما عرف عن ورعه وتقواه وجهاده في سبيل الإسلام، حتى روي أن عائشة لما لقيت معاوية بمكة قالت: يا معاوية أين كان حلمك عن حجر؟ فقال لها: يا أم المؤمنين لم يحضرني رشيد(٦٨)، ونحن نقول: أين عزب عنك حلمك ودهاؤك الذي ما فتئوا يصدّعون بهما آذاننا؟ إلا أنك قتلته عن سابق تصميم وإصرار؛ لِما يمثله من خطر على كيان السلطة

الأموية وإلا ألم يسمع معاوية بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله،: "يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات"(٦٩).

وفي عهد زياد بن أبيه قطعت أيدي الشيعة في الكوفة ظلما وعدوانا بعد أن حصب على المنبر، فجلس حتى أمسكوا، ثم دعا قوما من خاصته، وأمرهم فأخذوا أبواب المسجد، ثم قال: ليأخذ كل رجل معكم جليسه، ولا يقولنَّ لا ادري من جليسي، ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد، فدعاهم أربعةً أربعة يحلفون بالله ما منا من حصبك، فمن حلف خلاه، ومن لم يحلف حبسه، وعزله حتى صار إلى ثلاثين، ويقال بل كانوا ثمانين، فقطع أيديهم على المكان(٧٠).

أما في الجانب الاجتماعي فقد ركز الإمام الحسن عليه السلام في شروطه على تحقيق مفهوم الأمن المجتمعي الذي يعني قدرة المجتمع على الحفاظ على نماذجه التقليدية من لغة وثقافة وهوية وعادات...، وأهم مصدر من مصادر تهديد الأمن المجتمعي هما الهجرة والصراع بين الإثنيات والعرقيات المختلفة(٧١)، ويهدف الأمن المجتمعي إلى مواجهة التهديدات الموجهة نحو الحياة الاجتماعية، كالمخاطر التي تهدد النسيج الاجتماعي في دولة ما(٧٢).

والحق أن الإمام الحسن عليه السلام قد عالج هذه النقطة، ولم تغب عن باله، فضمنها شروط الهدنة التي أكدت على أن يؤمن الأسود والأحمر، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لأحد مهم بسوء(٧٣)، ولكن ما جرى بعد موت الإمام الحسن عليه السلام كان خلاف ذلك تماما، فقد حاول معاوية تدمير النسيج الاجتماعي، وتغيير التركيبة السكانية لمدينة الكوفة والبصرة، فهجرت العديد من العوائل الشيعية عن ديارها، ونفي العديد من رجالات الشيعة إلى مناطق بعيدة، وحرموا من العودة إلى مدنهم.

وتتضح سياسة معاوية بما أوصى به المغيرة بن شعبة واليه على الكوفة: "لا تترك شتم علي وذمه، والترحم على عثمان، والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والإقصاء لهم"(٧٤).

وفي هذا الصدد أورد البلاذري(٧٥) ما نصه: "ثم ولى زياد بن أبي سفيان الربيع بن زياد الحارثي سنة إحدى وخمسين، وحول معه من أهل المصرين زهاء وخمسين ألفا بعيالاتهم،

وكان منهم بريدة بن الحصيب الأسلمي أبو عبد الله، وبمرو توفي أيام يزيد بن معاوية، وكان أيضا أبو برزة الأسلمي عبد الله بن نضلة وبها مات، وأسكنهم دون النهر".

وأورد ابن أبي الحديد[٧٦] رواية توضح ما كان يلاقيه شيعة أمير المؤمنين عليه السلام من التشريد زمن معاوية، بقوله: "فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة، هو بهم عارف؛ لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبقِ بها معروفا منهم".

ونفى زياد بن أبيه عبد الله بن خليفة لاشتراكه مع حجر بن عدي، بعدما أخذ عدي بن حاتم مكانه، وساومه على إطلاق سراحه على أن يأتي بخليفة، فقال له: إني أخلي سبيلك على أن تجعل لي لتنفيه من الكوفة، ولتسير به إلى الجبلين، قال: نعم، فرجع، وأرسل إلى عبد الله بن خليفة: اخرج، فلو قد سكن غضبه لكلمته فيك حتى ترجع إن شاء الله[٧٧]، فخرج ولحق بجبلي طي[٧٨]، ونفى معاوية كريم بن عفيف الخثعمي إلى الموصل[٧٩]، وذكر ابن حجر العسقلاني أن المغيرة بن شعبة نفى صعصعة بن صوحان إلى جزيرة أو إلى البحرين[٨٠].

وكان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فلما قدم زياد الكوفة طلبه وأخافه، فأتى الحسن بن علي عليه السلام مستجيرا به، فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته فحبسهم، واخذ ماله ونقض داره، فكتب الحسن بن علي عليه السلام إلى زياد، فلم يستجب لطلبه، فكتب إلى معاوية ما فعل زياد، فعنفه واستجاب لإرادة الإمام الحسن عليه السلام[٨١].

وهجر زياد قوما من أزد البصرة إلى مصر، فنزلوا الفسطاط بموضع يقال له الظاهر[٨٢].

**الجانب الاقتصادي:**

سخر معاوية كل مقدرات الدولة المالية والاقتصادية لخدمة أهدافه وتطلعاته الشخصية، بل واستعملها كسلاح لشراء الذمم، وإذلال الخصوم بقطع العطاء عنهم والتضييق عليهم.

يقول احد الباحثين: "حاول معاوية وولاته استخدام المال، وان كان من بيت مال المسلمين لتحقيق إطماعهم، فقد عرف عن معاوية استعانته بالمال للحصول على دعم بعض الشخصيات التي يخدمه وقوفها إلى جانبه، أو بذل الأموال لتفريق صفوف عدوه...، وغالى

في ذلك، فكان يضم إليه بعض المتلاعبين بالأموال الذين كانوا يسرقون بيت مال المسلمين في ولاياتهم، ويهربون من عدالة علي بن أبي طالب إلى أمان معاوية"(٨٣).

وكان معاوية ينظر إلى موارد الدولة على أنها ملك له، وهو مطلق اليدين فيها مادام هو خليفة الله في أرضه، وقد عبر عن ذلك بقوله: "الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزا لي(٨٤)".

وقد كان معاوية يمنح ويهب بلا ضوابط أو مراعاة لمصالح المسلمين، بل كان الضابط الحاكم لتصرفاته المالية إنَّما هو المصلحة الشخصية في تكريس سلطته، وتثبيت أركان دولته، وتحقيق مآربه في التربع على عرش الدولة، ومن ذلك منحه مصر طعمة لعمرو بن العاص نظير وقوفه إلى جانبه في حربه للسلطة الشرعية المتمثلة بحكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

كما أنه أعفى عبد الله بن عامر بن كريز من المسألة عن الأموال التي أخذها من بيت مال المسلمين في البصرة، فقد أورد الطبري(٨٥): "أن معاوية قال له: اختر بين أن أتبع أثرك وأحاسبك بما صار إليك وأردك إلى عملك، وبين أن أسوغك ما أصبت وتعتزل، فاختار أن يسوغه ذلك ويعتزل".

وأعطى سعيد بن عثمان بن عفان ولاية خراسان يسترضيه لاعتراضه على استخلاف يزيد، فغزا وغنم وأخذ الرهائن لنفسه، واستعفى معاوية فأعفاه(٨٦).

كما أن معاوية كان ينظر لعمليات الفتوح على أنها عملية جمع الغنائم، وملء خزائنه بالذهب والفضة، دون مراعاة لتقسيم هذه الغنائم على الغانمين بحسب ما جاء بالقران الكريم والسنة النبوية، وفي هذا الصدد كتب زياد بن أبيه إلى الحكم بن عمرو بعد أن غزا جبل الأشل في إقليم خراسان، وغنم غنائم كثيرة كتب يأمره: "إن أمير المؤمنين كتب إلي أن اصطفي له كل صفراء وبيضاء والروائع، فلا تحركنَّ شيئا حتى تخرج ذلك، فكتب إليه الحكم: أما بعد فإن كتابك ورد تذكر أن أمير المؤمنين كتب إلي أن اصطفي له كل صفراء وبيضاء والروائع، ولا تحركنَّ شيئا، فإن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وأنه والله لو كانت السموات والأرض رتقا على عبد اتقى الله، جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجا، وقال للناس اغدوا على غنائمكم، فغدا الناس، وعزل الخمس، فقسم بينهم تلك الغنائم"(٨٧).

وأورد خليفة بن خياط[٨٨] رواية مؤداها: "أن معاوية بن أبي سفيان أمر عمر بن معاوية العقيلي على الصائفة، فلما قدم سأله عما بلغ الخمس فأخبره، فقال: أين هو؟ قال عمر: تسألني عن الخمس، وأرى رجلا من المهاجرين يمشي على قدميه لا أحمله؟ فقال معاوية: لا جرم لا تنالها ما بقيت، قال: إذن لا أبالي".

فالمعيار عند معاوية في إسناده القيادة إلى الأشخاص كان يتمثّل في مقدار ما يقدمون له من الغنائم، فقد جعل معاوية عمليات الفتوح أشبه بغارات السلب والنهب، وليست عمليات جهاد ونشر للدين الإسلامي، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل امتد إلى أرض الصوافي التي أفاءها الله على المسلمين، فكانت سياسة معاوية أن استصفاها لنفسه، وجعلها ملكا خاصا له، فقد وصف اليعقوبي[٨٩] معاوية بقوله: "وكان أول من كانت له الصوافي في جميع الدنيا".

ونجد من الضروري أن نلقي نظرة، ولو يسيرة على أرض الصوافي؛ لما يشوب هذا المصطلح من غموض.

تعرف الصوافي بأنها الأراضي التي لم يكن لها مالك عند الفتح، أي لم تكن في حوزة أحد من الناس، وكذلك الأراضي التي كانت لكسرى، وأراضي البريد، ومعابد النيران، فهذه الأراضي وضعت تحت عنوان الصوافي، وتكون تحت تصرف الإمام يصنع فيها بحسب رأيه، قال أبو يوسف[٩٠]: "أصفى عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) أهل السواد عشرة أصناف، أرض من قتل في الحرب، وأرض من هرب، وكل أرض كانت لكسرى، وكل أرض كانت لأحد من أهله، وكل مغيض ماء، وكل دير بريد، قال: ونسيت أربع خصال كانت للأكاسرة، وكان خراج ما استصفاه عمر رضي الله عنه سبعة آلاف ألف".

وأورد يحيي بن ادم[٩١] رواية مؤداها: "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصفى كل أرض كانت لكسرى، أو لآل كسرى، أو رجل قتل في الحرب، أو رجل لحق بأهل الحرب، أو مغيض ماء، أو دير بريد، وخصلتين ذكرهما لم أحفظهما، وفي حديث قيس: والآجام، ومن كان كسرى أصفى أرضه".

أما فقهاء الأمامية فيضعون هذه الأراضي تحت عنوان الأنفال التي خص الله بها رسوله صلى الله عليه وآله، ثم هي بعده للإمام القائم مقامه[٩٢]، وهذه الأنفال هي: "كل أرض خربه قد

باد أهلها عنها، وكل ارض لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، أو يسلمونها بغير قتال، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، والآجام، والأرضون الموات التي لا أرباب لها، وصوافي الملوك وقطائعهم مما كان في أيديهم من غير وجه الغصب، وميراث من لا وارث له"[٩٣].

وبيّن أبو يوسف[٩٤] رأيه في الصوافي بقوله: "وذلك بمنزلة المال الذي لم يكن لأحد، ولا في يد وارث، فللإمام العادل أن يجيز منه، ويعطي من كان له غناء في الإسلام، ويضع ذلك موضعه، ولا يحابي به، فكذلك هذه الأرض".

من هذا نرى أن الصوافي مساحات واسعة من الأراضي التي في معظمها خصبة، لأنها في أغلبها كانت تخص الأسرة الحاكمة، والمؤسسات الحكومية، والدولة الإسلامية أبان الفتح الإسلامي للعراق قد استصفت هذه الأنواع، أي كل ما كان يعود لكسرى، وأهله، ومعابد النيران، وأوقاف البريد، وأرض من مات ولا وارث له، والبطائح، وقد بلغ واردها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب كما أورد ذلك أبا يوسف في رواية (سبعة آلاف ألف).

أما في زمن عثمان بن عفان، وكما يذكر قدامه بن جعفر[٩٥] فإنه: "رأى أن عمارة ذلك أرد على المسلمين من تعطيله، فأعطاه من رأى إياه ليعمروه، ويؤدوا ما يجب للمسلمين فيه".

وذكر الطبري[٩٦] أن الخليفة عثمان باع قسما من أراضي الصوافي، وأبدل بأراضي الصحابة في الحجاز واليمن الأراضي الخصبة من أراضي الصوافي في العراق.

ورأى احد الباحثين[٩٧] أن من نتائج سياسة الخليفة عثمان في أراضي الصوافي أن ظهرت ارستقراطية عربية مالكة للأراضي؛ إذ قال: "وعلى إثر هذا القرار برز آل طلحة بن عبيد الله، أصحاب أموال وضياع في الحجاز والكوفة حتى سنة(١٢١هـ)، وآل الأشعث مالكي القرى في الكوفة أيام عبد الملك بن مروان، فكان ذلك نواة ارستقراطية عربية مالكة الأراضي في السواد شبيهه بالدهاقين المحليين، وبدأ صراع خفي يظهر بالتدريج أيام عثمان بين القائلين إن الصوافي ملك مشترك للمقاتلة يديرها أمراء يتفق عليهم، وبين القائلين إن الصوافي ملك للإمام(الخليفة)".

وكان من أمر الصوافي كما قدمنا أن استصفاها معاوية لنفسه، فقد أورد مسكويه[٩٨]

أن معاوية:" دعا بالدهاقين فسألهم عما كان من صوافي كسرى، فعرف أن الديوان بحلوان، فبعث فأحضرهم ثم استخرج ما كان فيه: "ثم كتب لابن الدراج عاملة على الخراج:" أن استصفها واستخرج ما فيها، ففعل فبلغت صوافي معاوية على يده خمسين ألفَ ألف"[٩٩]، وذكر اليعقوبي[١٠٠] ما نصه:" وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن، مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع، وتصيرها لنفسه خالصة، وأقطعها أهل بيته وخاصته".

فحرم بذلك الأمة من مورد مهم من مواردها الاقتصادية التي كانت توزع في أعطيات المسلمين، أو تصرف لسد حاجة المحتاجين من الضعفاء والمرضى، أو على الأمور العامة لما فيه مصلحة الأمة.

ثم وصل الانحراف بمعاوية قمته بالعهد إلى يزيد، ليمعن في إذلال الأمة، وإبعاد الإسلام عن نهجه، وإضفاء الطابع الجاهلي عليه.

في المقابل كان الإمام الحسين عليه السلام مصمما على أن لا يبايع يزيد، ولا يضفي الشرعية على حكمه، وكيف يبايع وهو يعيب على معاوية ابنه، ويصفه بالصبي شارب الخمر.

**حال الأمة الإسلامية:**

كانت الأمة الإسلامية بحاجة إلى صدمة عنيفة تهز وجدانها، وتوقظها من سباتها، وتعيدها إلى الحياة، بعد أن عاشت الذل، ومات فيها الأمل.

كان الحسين عازما ليس على الثورة فحسب، بل عزم على الشهادة والتضحية، فأي أضحية أخرى غير الحسين ما كانت لتعيد للأمة توازنها ولا للإسلام بريقه، فمأساة الحسين في كربلاء هي أول باعث روحي، وأول محرك فعلي لإحياء فكرة الشهادة في الإسلام مجددا، وهي الفكرة التي أوحت للمتعاطفين مع آلام الشهداء وتضحياتهم، وأوحت للمتضررين أيضا من تطورات الأحداث بأن يقوموا بحركات وثورات عدة تحت شعار الثأر للحسين[١٠١].

لقد وصلت الأمة إلى حالة يرثى لها من الخمول والهوان والرضا بالأمر الواقع، بل وصلت إلى حال ميئوس منها، ونستطيع أن نتلمس ذلك من كلمات الناصحين للإمام الحسين عليه السلام وهم النخبة في المجتمع، وكيف كانت كلماتهم بعيدة كل البعد عن فهم موقف الإمام عليه السلام، ونظرته للأمور وحرصه على الإسلام، فقد تركزت كلماتهم على أن لا يضحي

بنفسه، وأن لا يعرض عياله للسبي، وأن لا يفرق جمع المسلمين.

وإذا ما تمعنا بكلمات هؤلاء الأشخاص، وهم من زعماء الأمة، وبقية الصحابة، فإنه ليس من العسير علينا أن نفهم حال الأمة وتفرقها، كما أنه ليس من العسير علينا أن نفهم قلة العدد في كربلاء، وخذلان الناصر، ووقوف الناس متفرجين يدعون للحسين بالنصر والسلامة، وهو وحيد بين هذه الجموع.

فقد ورد أن عبد الله بن عباس أتى الحسين فقال: "يا ابن عم إني أتصبر ولا اصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر، فلا تقربهم، أقم بهذا البلد، فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا، فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم فإن أبيت ألا تخرج، فسر إلى اليمن فإن بها حصونا وشعابا، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس، وترسل، وتبث دعاتك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية، فقال له الحسين: يا ابن عم، إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكني قد أزمعت وأجمعت على المسير"(١٠٢).

وقد نصحه ابن عمر بقوله: "أبا عبد الله مهلا عما قد عزمت عليه، وارجع من هنا إلى المدينة، وادخل في صلح القوم ولا تغب عن وطنك وحرم جدك رسول الله"، فكان مما أجابه به الحسين: "هيهات يا بن عمر إن القوم لا يتركوني، وان أصابوني، وان لم يصيبوني فلا يزالون حتى أبايع وأنا كاره أو يقتلوني، أما تعلم يا عبد الله إن من هوان هذه الدنيا على الله تعالى أنه أتي برأس يحيى بن زكريا عليه السلام إلى بغية من بغايا بني إسرائيل"(١٠٣).

ومن الناصحين أيضا عبد الله بن مطيع؛ إذ نصح بقوله: "فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة، فإنها بلدة مشؤومة، بها قتل أبوك وخذل أخوك، واعتل بطعنة كادت تأتي على نفسه، الزم الحرم فإنك سيد العرب، لا يعدل بك أهل الحجاز أحدا، ويتداعى إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم، فداك عمي وخالي، فوالله لئن هلكت لنُسترَقَنَّ بعدك"(١٠٤).

لم يكن الحسين يطلب الملك ولا السلطان، ولم يكن يسعى إلى جاه أو وجاهة، بل كان يسعى إلى إعادة هيبة الدين، وشرعية الحق المغتصب.

لذلك لم يحسب الأمور بميزان الربح والخسارة، أو الانتصار والانكسار؛ لأن الهدف أسمى من الوجود المادي، فكل الخيارات لديه كانت تؤدي إلى الانتصار: انتصار الحق، وانتصار الدين، وانتصار المبادئ، وانتصار الدم على السيف.

كما أنها ليست طموحا شخصيا يحتاج إلى موازنة بين فرص النجاح واحتمالات الإخفاق، إنها قضية الحق وحده، حق الدين، وحق أمة، وحق دولة، وحق مصير، فأما أن ينتصر هذا الحق أو فليمت الأبرار دونه(١٠٥).

والحسين عليه السلام عندما ثار لم يثر لأجل نوال كرسي الحكم، إذ لم تكن منطلقاته من قاعدة فردية أو زمنية، بل كانت اهدافها تتعداه إلى الاعقاب والاجيال القادمة التي ستعرف كيف كان شكل الفداء دفاعا عن عقيدة سُلمت لها متلألئة(١٠٦).

قال العلايلي: "لقد كبرت كلمة أن يقال إنما ضحى من اجل الملك أو الغلبة، أو السلطان، وما كان هذا من هم نفسه الكبيرة، وما كان هم نفسه من شهوات الناس، وإنما أيقظه الجور، ودفعه الاعتداء، وأنشطه الظلم، واستثاره أنين الضعفاء، وعويل المثكولين، ودموع المفؤودين، وأن من بين العدوان على الحق، وتجاهل العدوان، تنبعث الأحرار، وتخرج الأبطال"(١٠٧).

هذه الكلمات الثائرة كانت منطق الحسين عليه السلام لأولئك الذين أرادوا أن يحملوه على غير رأيه، ولهؤلاء عذرهم فإنهم لا يحملون نفسه، ولا يشعرون بشعوره، ولا يتوقد في نفوسهم ما يتوقد في نفسه(١٠٨).

وعلق أحد الباحثين(١٠٩) على رفض الإمام الحسين عليه السلام لنصائح ناصحيه بقوله: "ذلك أن القضية التي خرج البطل حاملا لواءها لم تكن قضية شخصية تتعلق بحق له في الخلافة، أو ترجع إلى عداوة شخصية يضمرها ليزيد، كما أنها لم تكن قضية طموح يستحوذ على صاحبه، ويدفعه إلى المغامرة التي يستوي فيها احتمال الربح والخسران، كانت القضية أجل وأسمى وأعظم، كانت قضية الإسلام ومصيره، والمسلمين ومصيرهم".

لقد رفض الإمام الحسين نصائح من نصحه؛ ليس لأنه لم ير الصدق في أعينهم، أو اكتشف كذب قولهم، لكنه رفضها لأنهم لم يكونوا بمستوى الحدث، ولم يدركوا معنى الثورة، ولم يكتشفوا السر الإلهي لها.

أما طه حسين فقد وصف موقف الإمام الحسين بقوله: "أبى وما أراه أبى عنادا، أو ركوبا لرأسه، وإنما كان يعلم أن يزيد سيأخذه بالبيعة أخذا عنيفا، فإن بايع غش نفسه، وخان ضميره، وخالف عن دينه؛ لأنه كان يرى بيعة يزيد إثما، وإن لم يبايع صنع به يزيد ما يشاء"(١١٠).

وربما كان جوابا خالدا في التصميم والعزيمة قول الحسين عليه السلام لابن عمر لما أشار عليه بصلح أهل الضلال، وحذره من القتل والقتال، فقال: "يا أبا عبد الرحمن أما علمت أن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل"(١١١).

وهذا ما كان غائبا عن بال الناصحين الذين حسبوا الأمور حساب ربح وخسارة، وحساب إتلاف للنفس، ولم يفطنوا إلى خسارة الدين وإتلاف التعاليم المحمدية.

تلك النظرة الضيقة والسطحية هي التي كانت تطبع أفكار من نصحوا الحسين عليه السلام، فلم يكن لنصائحهم مجيبا، وشكرهم على نصحهم، عازما بعد التوكل على الله تعالى التوجّه إلى مذبح الحرية والعزة والإباء، إلى الكوفة رمز العدل والحق، عاصمة الإمام علي عليه السلام؛ ليصدع من هناك بكلمته الخالدة: "والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل"(١١٢).

**لماذا الكوفة...؟**

لابد من القول إن الإمام الحسين عليه السلام قد أجبر على الخروج من مدينة جده رسول الله، إذ لم يكن أمامه خيار سوى البيعة أو الخروج، وقد أبى البيعة، فلم يكن أمامه سوى الخروج من حرم رسول الله، وكانت وجهته الأولى مكة المكرمة، إلا أنه لم يكن في حساباته أن يتخذها مستقرا له، أو قاعدة لثورته، فهي فضلا عن قداستها كانت مدينة قرشية أموية، لم يكن بها من الأنصار ما تقر به العين، لكنّه عليه السلام اتخذها محطة لانطلاقته الكبرى، لأنها ملتقى الحجيج.

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام طامعا بكسب الرجال فيها ممن يفدون إلى الحج بقدر ما كان يسعى لإيصال صوته لكل المسلمين، وإيضاح هدفه من الثورة، وإبلاغ رسالته، لذلك كان حريصا على أن يلتقي بالناس، ويخطب بهم، ولم يكن متخفيا، أو قابعا في وادي منعزل، بل كان يجهر بآرائه وهدفه، ويعرض مساوئ الأمويين على الناس، بل إنه لم يخفِ خروجه

على الناس، وأعلمهم بأنه راحل مصبحا، لمن أراد اللحاق به، والسير بركبه.

لم تكن مكة على الرغم من قداستها بالمكان المؤهل لاحتضان ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فالسلطة قد وضعته تحت المراقبة، وكانت خطواته تحت أعينهم، وكان عليه السلام يدرك ذلك، وعلى حذر منهم لما يعرف من أساليب الأمويين في الغدر، وتفننهم في تنفيذ الاغتيالات السياسية، وإظهار الأمر كأنه موت طبيعي، أو نتيجة لثأر شخصي، أو إظهار الحسين عليه السلام كأنه منتهك لحرمة الكعبة، فضلا عما قدمنا من التركيبة الاجتماعية لمكة التي لم تكن متوافقة مع فكر الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما جعل الإمام الحسين يتعجل الخروج من الحرم المكي، وقد أشار إلى ذلك بقوله: " والله لأن اقتل خارجا منها بشبر أحب إلي من اقتل داخلا منها بشبر، وإيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني، حتى يقضوا في حاجتهم، والله ليعتدُنَّ علي كما اعتدت اليهود في السبت"(١١٣).

كان الإمام الحسين عليه السلام يدرك إذن حجم المؤامرة، وما كانت تخطط له السلطة من اغتياله بين الجموع ليضيع دمه، وقتل الثورة قبل انطلاقها، لذلك أراد أن يفوت عليهم الفرصة، ويقلب كل خططهم عليهم.

وجواب الإمام الحسين عليه السلام للفرزدق يكشف لنا بما لا يقبل الشك المؤامرة الخطيرة ضد الإمام عليه السلام في مكة قد وصلت مراحلها الأخيرة، فكان لابد من التحرك السريع لإفشالها، فعندما سأل الفرزدق الإمام بقوله: "بأبي وأمي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟ فقال: لو لم أعجل لأخذت"(١١٤).

وقد لخص عبد الله بن عباس في رسالة وجهها ليزيد ما كان تحيكه السلطة من مؤامرة على الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ يقول: "وما أنس من الأشياء، فلست بناس إطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة.... ثم إنك الكاتب إلى ابن مرجانة أن استقبل حسينا بالرجال، وأمرته بمعاجلته، وترك مطاولته، والإلحاح عليه، حتى يقتله ومن معه من بني عبد المطلب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"(١١٥).

وهكذا يمم الحسين عليه السلام وجه شطر الكوفة التي اختارها مكانا لإعلان رفضه للنهج الأموي المقيت، وليكتب بدمه قصة الشهادة والإباء والرفض لكل مظاهر الظلم والاستكبار.

كان للكوفة مكانتها ورمزيتها وقدسيتها لدى الإمام الحسين عليه السلام، فهو لم يضطر إليها اضطرارا، بل أقدم إليها اختيارا، فكما كانت مدينة رسول الله مركز الدعوة، وعاصمة الدولة، أراد الحسين عليه السلام أن تكون الكوفة التي اختارها أمير المؤمنين عليه السلام عاصمة له لإعادة الحق إلى نصابه، أرادها أن تكون امتدادا طبيعيا لرسالة الإسلام، وتعبيرا عن صلة المنهج والقرابة بين الرسول والإمام، وعلى هذه الصلة الروحية والمعنوية التي جسدها الحسين عليه السلام في اختياره الكوفة، لتكون منطلقا لإعادة الحياة إلى الإسلام.

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام يجهل مجتمع الكوفة والتركيبة الاجتماعية لسكانها، كما أنه لم يكن يجهل أساليب الأمويين في شراء الذمم والضمائر، وهو من عاش مع أبيه عليه السلام في الكوفة، وشارك أخاه الحسن عليه السلام في محنته مع أهلها، فالحسين عليه السلام اكبر من أن تخفى عليه تلك الأمور الواضحة، وهو يسمع أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول فيهم: "لوددت والله أن معاوية صارفني فيكم صرف الدينار بالدرهم، فاخذ عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم"(١١٦)، فإلى أي مدى وصل تذمر أمير المؤمنين عليه السلام من تقاعسهم وجبنهم عن القتال، وخلودهم إلى الراحة، وجند معاوية تغير على أطراف بلدتهم تقتل الرجال، وتهلك الحرث، وتعيث في الأرض فساداً.

لم يكن الحسين عليه السلام بالجاهل بأمور الحرب والإعداد لها، وتهيئة مستلزماتها، وهو من خاض مع أبيه الجمل وصفين والنهروان، وتعلم في مدرسة فتى الإسلام علي بن ابي طالب عليه السلام، فقد كان الحسين عليه السلام صاحب فكر عسكري وقّاد، ونظرة ثاقبة في أمور الحرب، وليس أدل على ذلك من خطبته في صفين يحرض أهل الكوفة على القتال، بقوله: "ألا إن الحرب شرها ذريع، وطعمها فظيع، وهي جرع محتساة، فمن أخذ لها أهبتها، واستعد لها عدتها، ولم يألم كلومها عند حلولها، فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها، واستبصار سعيه فيها، فذاك ممن لا ينفع قومه، ويهلك نفسه"(١١٧).

ويستطيع أي باحث منصف مدقق أن يرى تلك الحقيقة التي لا تقبل الجدل، فالإمام الحسين عليه السلام كان قد اتخذ موقفا صارما لا رجعة فيه، وهو عدم البيعة ليزيد مهما كلف الأمر، وقد حدد وجهته، وحسم أمره، واستعد للمواجهة مع أهل بيته، ولم يعول كثيرا على الأمة بأجمعها، أو أهل الكوفة، وأن مجرد خروجه من المدينة رافضا إعطاء البيعة لواليها كان

إعلان ثورة، ورفضا ليزيد ومن أتى به.

في الجانب الآخر كان يزيد قد حسم موقفه أيضا؛ أما البيعة وأما القتل، فقد كتب لواليه على المدينة: "وليكن مع جوابك لي رأس الحسين ابن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر"(١١٨).

وقال الدينوري(١١٩): "فلم تكن ليزيد همة إلا بيعة هؤلاء الأربعة نفر، فكتب إلى الوليد ابن عتبة يأمره أن يأخذهم بالبيعة أخذا شديدا لا رخصة فيه".

وأدرك الإمام الحسين عليه السلام أن القوم لن يتروكوه إن بايع، وإن لم يبايع؛ لأنه كان يمثل الخطر الداهم ليزيد، بل يمثل قمة التناقض في السياسة والمجتمع، فالحسين عليه السلام رمز العفة والطهارة وسليل الرسالة المحمدية، ويزيد الفاسق السكير المنتهك لحرمات الإسلام، فمجرد وجود الحسين عليه السلام يولد إحساسا بالخطر، والنقص لدى يزيد وزبانيته، لذلك كان التخلص من الحسين عليه السلام ضرورة لابد منها؛ ليستمر حكم آل أبي سفيان.

وقد علق أحد الباحثين على ذلك بقوله: "ولأمرٍ ما لم يهدأ يزيد حين بويع له من الناس، ولم يبايع الحسين واثنان معه، ثم ترك يزيد الاثنان وبدأ بالحسين، ولعلها بديهة واضحة، فمبايعة الحسين كان لها من المعنى ما هو فوق مبايعة الناس أجمعين، وإنها كانت تبدل كراهة الناس إلى رضا، وبغضهم إلى محبة، وكان للناس أن يخافوا فيبايعوا، ولا لوم عليهم أن يخافوا، أما الحسين فكان يكون ملوما لو بايع، ثم يكون عليه أثم كل المكرهين إن تبدلت كراهتهم إلى رضا"(١٢٠).

وهذا ما يفسر لنا إسراع الإمام الحسين عليه السلام بالخروج من مكة؛ حتى يفوت على السلطة فرصة اغتياله فيها، وإظهار الأمر كأنه حادث عرضي، أو في الأقل إبعاد الشبهة عن السلطة، مثلما حدث في الاغتيالات السياسية التي اتبعها معاوية مع معارضيه، فلم يكن الحسين عليه السلام لعلمه بنوايا يزيد وسلطته راغبا في البقاء بمكة لقدسيتها، كما أنها لم تكن مدينة مؤهلة لاحتضان ثورة الإمام، وإيصالها لمداها العالمي؛ لكونها قرشية مغلقة، ومعظم أهلها من أبناء الطلقاء، فأي تعاطف سيبدون للإمام عليه السلام وثورته، فضلا عن أن بقاءه في مكة ربّما يكون سببا في انتهاك حرمتها إذا ما أقدم يزيد على حرب الحسين عليه السلام، فجاءت رسل أهل

الكوفة لتلقي الحجة على الإمام الحسين عليه السلام بضرورة تلبية النداء والتوجّه إلى الكوفة، فلبى النداء ولكن بتروي وهدوء، فلم يسرع إليهم، وإنما أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل، يستوثق من القوم، ويرى الأمور على أرض الواقع.

ولكن هل كان في خلد الحسين عليه السلام مكان آخر غير الكوفة؟ يمكن لنا أن نجيب عن هذا السؤال بـ(لا)، ونكون واثقين من ذلك، فلم يكن يدر في خلد الحسين غير الكوفة؛ إذ عرض عليه ابن عباس الذهاب إلى اليمن، ففيها شيعة أبيه فضلا عن تضاريسها الوعرة التي يمكن أن توفر له الملاذ الآمن، لكنه عليه السلام رفض العرض بكل إباء، واختار الكوفة لأنه ثائر وليس هاربا.

هكذا لم يكن للحسين بد من أن يقاوم، ولو لم يدعُه من أهل العراق داع، أو لم يأتِه من أهل الكوفة كتاب، فكل ما صنعته وفود الكوفة وكتبها له أنها عجلت خروجه، وهنا لابد أن ننفي عن تفكيرنا وهمًا ردده كثيرون، وهو أن الحسين عليه السلام ذهب ضحية خدعة لم يحسن تدبرها، أو ضحية أنصار لم يحسن تقدير أخلاصهم وثباتهم، كلا إن الحسين إنما ذهب شهيد إيمان قرر مختارا ومشتاقا أن يكون شهيده وقربانه(١٢١).

فاختيار الحسين عليه السلام الكوفة لم يكن ناتجا عن اغتراره بكتب أهلها ورسائلهم، بل لأن الحسين عليه السلام كان عازما على الثورة، وأن مجرد خروجه من مدينة جده كان إعلان ثورة، ولهذا لم يفكر بالرجوع، أو تغيير وجهته حتى بعد أن وصله خبر مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل.

وإذا أخذنا بالروايات التي تقول إن أهل الكوفة كتبوا للحسين عليه السلام وهو بمكة، ودعوه إلى القدوم إلى مدينتهم، وأنهم أغروه ثم خانوه؟ نقول: إنهم فعلا عاهدوه على النصرة، وبذل الروح في سبيل الله، لكن الحسين لم ينخدع بهم، بل إنه لم يكن ينتظر كتبهم أو وفودهم، فقد كان من المنطقي والحتمي التوجه إلى الكوفة، ولم يكن لشخصية ثائرة مثل الإمام الحسين عليه السلام أن يهمل كتب أهل الكوفة ورسائلهم على علمه بهم؛ لان ذلك سيكون حجة لهم عليه لا له.

وقد كان تعامل الحسين عليه السلام مع رسائل أهل الكوفة تعاملا طبيعيا، فلو قرأت خطابات الكوفيين والبصريين لوجدنا أنها تمثل حالة ثورية، لو لم يستثمرها الحسين عليه السلام لاتهم بالقعود،

والهرب عن تحمل دوره التاريخي، فالعراق موطن من مواطن الشيعة، ومهد التشيع الذي وقف بوجه الحكم الأموي، وتمنى أهله زوال هذا الحكم فكاتبوا الحسن عليه السلام، ثم بعده كاتبوا الحسين عليه السلام للوقوف بوجه مظالم بني أمية، وذكر الحسين عليه السلام أثر ذلك في اتخاذ قرار التوجه إليهم بالقول: "والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتبت إلي شيعتي"[١٢٢].

ولم يكن بوسع أبي عبد الله عليه السلام أن يقف موقف المتفرج الهارب بنفسه من ساحة الوغى، أو الفار بدينه إلى ساحات الاعتزال والانعزال، وهي جميعها أشكال مختلفة من الهروب والتهرب من تحمل المسؤولية، وهو مسلك فضلا عن ضرره البليغ على الواقع في تلك اللحظة، فإنه يعطي مسوغًا لكل من تعرض لهذه الظروف أو ما شابهها أن يهرب بنفسه حتى يستوفي الأجل المحتوم، ويبقى في وجدان الأمة رمزا من رموز الكهنوت الهارب من مواجهة الشيطان في أرض الواقع، واللائذ بالنصوص والتبريرات[١٢٣].

وهنا يمكن أن نضع عدة أسباب لاختيار الحسين عليه السلام الكوفة أرضا لإعلان الثورة منها:

١- أنها مركز المعارضة لبني أمية، وبؤرة النشاط السياسي والفكري.

٢- تمثل الكوفة العاصمة المقهورة، المغتصب حقها، المستباح حماها، وهي أيضا محط الأنظار، ومستقر القبائل وهجرة الناس إليها.

٣- كانت الكوفة - فضلا عن كونها مركزا سياسيا- عاصمة الثقافة والإبداع، ومنبع اللغة والشعر والفلسفة الإسلامية.

٤- كان مجتمع الكوفة يضم بين فئاته قوميات مختلفة واديان شتى، فكان كأنه عالم مصغر، وهذا ما كانت الثورة بحاجته لإبراز البعد الإنساني والعالمي لنهضة الإمام الحسين عليه السلام.

فكان لابد للإمام الحسين عليه السلام أن يختار لثورته بيئة تتناسب وعظم الهدف وحجم التطلعات، فكانت الكوفة كما أراد الحسين، فإن بخلت عليه برجالها وأبنائها، ولم تنصره، فإن أهلها تناقلوا ثورته بألم وحرقة وندم على ما ضيعوا من نصرته، وضمّنوا الثورة في أشعارهم وكتبهم وثوراتهم التي تلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وأوصلوها للأجيال اللاحقة على الرغم من محاولة الأمويين طمس معالم الثورة، وتشويه أهدافها، وإظهار أبطالها بمظهر الخارجين على الشرعية، أو الطالبين للملك وليس للإصلاح، فلو كان الحسين عليه السلام

اختار بلدا آخر غير الكوفة لكان مجرد رجلا عاصيا في الجبال قتل ومات.

فمعظم بلاد المسلمين كان بإمكان الحسين عليه السلام الوصول إليها، كاليمن مثلاً التي كانت تعيش حالة من الخمول الفكري والثقافي، ولم تكن في قلب الأحداث، أو على صلة وثيقة بسياسة الدولة، بل نستطيع القول لم تصل لها أي مدنية، ولا تتمتع بما تتمتع به الكوفة من قربها من مصدر القرار، ومكانتها في نفوس الناس، كما أن أهل اليمن لا يتمتعون بما يتمتع به أهل العراق من سعة الاطلاع، والمجادلة في الأمور، والانخراط في السياسة وشؤون الأمة، ويمكننا القول إن العالم الإسلامي حينذاك كان يختصر بمدينتين هما الكوفة عاصمة الثورة، ودمشق عاصمة السلطة.

وكان الحسين عليه السلام مصمما على الكوفة؛ ذلك أنه لم يخرج ليحرز نصرا مضمونا، بل خرج ليؤكد حق الإسلام في حماية نفسه من الضلال والإفك، وليكفّر في تضحية مجيدة عن خطيئة الصمت التي اقترفها الناس طائعين أو مكرهين، وليكن بعد ذلك ما يكون[١٢٤].

فلو اختار الإمام الحسين عليه السلام غير الكوفة، فلن يكون لثورته ذلك الوهج، ولا ذلك القبس المشع، لقد كان هناك تلازم وثيق بين الحسين عليه السلام وبين الكوفة، بل كان هناك بطل ومكان لا يفترقان.

إن الأمر هنا ليس حنكة سياسية، وليس غفلة سياسية ليس واقعية رومانتيكية، إنه أمر واضح تماما يرتفع عن مستوى الغفلة أو الخيال، هو موقف أشبه بموقف المسيح، موقف الفدية والمخلص، أذكى وأشرف رجل في عصره يقدم نفسه ليوغل فيه أعداء القيم العليا ما شاء لهم انحدارهم، كآخر ما يستطيع أن يصل إليه بشر، فتكون الصرخة التي توقظ ضميرا خربوه بكل الوسائل[١٢٥].

## الخاتمة:

كانت الأمة الإسلامية بحاجة لرجل مثل الإمام الحسين عليه السلام، ولثورة مثل ثورته، تقض مضاجع الظالمين، وتوقظ الأمة من سباتها.

فقد وضع الحسين عليه السلام في استشهاده العظيم قانونا للشعوب التي ترفض الانصياع للظلم، وتأبى إلا أن تكون لها الحرية والكرامة والقضية، ومازال دمه الثائر يطارد الطغاة،

ويدك عروش الظالمين في كل زمن[١٢٦].

وقد يسأل سائل لماذا لم يثر الحسين زمن معاوية، والظلم نفسه الظلم، بل إن معاوية هو الذي أسس ليزيد، ومهد له السبيل ليرتكب ما ارتكب في كربلاء، وفي مدينة رسول الله، وضرب الكعبة المكرمة؟

وقد اجبنا عن هذا السؤال بما تيسر لنا بعد أن اطلعنا على المصادر، ودققنا فيها، واستشرفنا نفسية الثائر على الظلم والعدوان، إن الإمام عليه السلام كان ثائرا زمن معاوية، وان لم يعلن الثورة بشكل رسمي لعدم نضج الظروف، ولما أحاط معاوية نفسه من قدسية المنصب الذي استولى عليه بالقهر والغلبة، فأصبح في نظر العامة من المسلمين خليفة شرعيا، فلو أن الإمام عليه السلام أعلن ثورته، فإن الضرر الذي سيلحق شيعته وأهل بيته سيكون فادحا، بل إن معاوية لن يبقي أحدا على الأرض يلهج باسم أمير المؤمنين علي عليه السلام، مما يؤدي إلى نسف مبررات الثورة، كما ينسف كل تضحيات وآلام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام التي تجرعها، وهو يوقع وثيقة الهدنة مع معاوية.

وقد يسأل سائل آخر: ومتى نضجت الظروف للثورة حتى نهض الإمام الحسين عليه السلام، ولم يكن معه إلا بضع عشرات من الناس؟

نقول إن إنضاج الظروف لا يرتبط بعدد الأنصار والمؤيدين فحسب، وإنما يرتبط بشكل أساس بتبلور الوعي السياسي لدى العامة، ومدى تقبلها لفكرة الثورة، واتخاذها نبراسا ومقياسا ومنهجا في رفض الظلم والجبروت، وقد أصبح الجو مهيئا لتقبل فكرة الثورة التي نادى بها الإمام عليه السلام واستيعاب مبادئها، لذلك أعلن ثورته والتي رسخت في النفوس والقلوب إلى اليوم.

فرسل أهل الكوفة وكتبهم ما هي إلا إفرازات لبيئة ثائرة رافضة للظلم، وهم وإن لم يفوا بوعودهم خوفا من السلطة، أو طمعا بهباتها، لكن هذا لا ينفي عن هذه البيئة ثوريتها ورفضها، وأنها كانت مهيأة لتلقي الثورة واحتضانها، وكان اختيار الإمام الحسين عليه السلام مدينة الكوفة عاصمة لثورته اختيارا موفقا، فهي أنسب بقاع الأرض للثورة، وهي الحاضنة المثالية التي أبقت على دفء الثورة، وأوصلتها إلى يومنا هذا لهيبا مستعرا، وجمرة لا تنطفئ في قلوب الأحرار، ونبراسا لمقارعة الظلم، ودرسا للتضحية من اجل الدين والكرامة الإنسانية.

ولهذه الأسباب نزل الإمام الحسين عليه السلام إلى ميدان الحق ليمارس دوره قائدا تاريخيا؛ لينتشل الأمة من واقعها المرير، وليعيد للإسلام سيرته الأولى.

لم يكن الحسين عليه السلام يطمع بالنصر، وهو يقابل بهذه القلة القليلة تلك الجيوش الجرارة التي تفتقد شرف العسكرية، بل إنه كان يتوق لينثر دمه على أرض كربلاء؛ لتزهر أجيالا من الأحرار الثائرين الذين يضعون الحسين عليه السلام أمامهم، وهم يقارعون الظلم أينما وجد على هذه الأرض، وفي أي زمان كان.

وقد كان يدرك أن التوازن العسكري مفقود، وأن نصيبه وأهل بيته وأصحابه سيكون القتل والتمثيل، إلا أنه أصر بكل عنفوان الإصرار على المنازلة، لكنه عليه السلام بنزوله إلى هذا الخطر العظيم، وتحمل نتائج هذا السلوك الرجولي المؤمن، أثبت أن الخصائص الأساسية للدولة الإسلامية هي رأس مال الأمة الإسلامية، الذي إن ضحى المؤمن برقبته وأسرته وأهله وعياله في سبيل الحفاظ عليه لا يكون قد عقد صفقة خاسرة[١٢٧].


## Abstract

The Umayyads had their own approach in consolidating their rule & power and in dominating people by spreading up the Sayings and Phrases that force people to obey their unjust corrupted ruler. In addition, The Umayyads kept chasing and killing Ahlul-Bayt followers, specifically, the important key figures and scholars whom were working toward educating people and spreading Ahlul-Bayt knowledge and virtues. This approach by the Umayyads was in contrast to the Islamic values of justice and the revolution against oppression.

Islam in its core represents justice and truth against falsehood. Accordingly, the rise of Imam Husayn was against such deviant values and against all ideologies in contrary to the true Islam. Such deviant values started taking hold of public minds because of pro-ruler scholar's role.

Imam Husayn (as) used his stature of being scion of Prophet Muhammad (pbuh) to declare the revolution against these principles and to give a momentum to the revolution that no other one in the Islamic world was able to form.

In this theses, I have reviewed the major tribulations and problematics for the reason of timing of Imam Husayn's rise, whether the revolution

targeted Yazid as a person or as an approach & behavior, and reasons for not standing up against Muawiyah in time of his rule.

Then, the other major problematic of choosing Al-Kufa as an uprise capital was reviewed as well even though many have advised to avoid it.

## هوامش البحث

(١) صاحب، أحمد عليوي، مسيرة الإمام الحسين إلى كربلاء "دراسة تحليلية"، كربلاء، (مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠١٤م)، ص٥١.

(٢) المودودي، أبو الأعلى، لماذا استشهد الإمام الحسين، (القاهرة، دار المختار الإسلامي، بلا)، ص٩، ص١٠.

(٣) عبد الله، الإمام الحسين، (بيروت، دار ومكتبة التربية،١٩٧٢م)، ص١٠٣.

(٤) فضل الله، محمد حسين، في رحاب أهل البيت، إعداد: سليم الحسيني، (بيروت، دار الملاك، ٢٠٠١م)، ص٢٨١.

(٥) أبناء الرسول في كربلاء، (القاهرة، دار المقطم، ٢٠٠٤م)، ص٨٤ ص٨٥.

(٦) محمد بن سعد الزهري(ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر،(القاهرة، الشركة الدولية للطباعة،٢٠٠١م)، ج٦، ص٤٢٢.

(٧) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر(ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، تعليق: خليل المنصور، (طهران، مطبعة مهر،١٤٢٥هـ)، ج٢، ص١٥٩، أحمد عليوي، مسيرة الإمام الحسين، ص٢٩ ص٣٠.

(٨) م.ن، ص٣٠.

(٩) م.ن، ص٣٢.

(١٠) ابن قتيبة الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود(ت٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد السلام عامر، (القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،١٩٥٩م)، ص٢٢٤.

(١١) ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، (بيروت، مكتبة المعارف،١٩٩٠م)، ج٨، ص١٦٢.

(١٢) ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م)، ج١، ص١٤٥.

(١٣) م.ن، ج١، ص١٤٥ ص١٤٧.

(١٤) أبو القاسم علي بن الحسين الشافعي(ت٥٧١هـ)، ترجمة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين من تاريخ دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، قم مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، فروردين، ١٤١٤هـ)، ص٢٨٩.

(١٥) م.ن، ص٢٨٩.

(١٦) م.ن، ص٢٨٩.
(١٧) الفتنة الكبرى علي وبنوه، (القاهرة، دار المعارف،١٩٩٤م)، ص١٩٦.
(١٨) بيضون، إبراهيم، ثورة الحسين حدثا وإشكاليات، (بيروت، شركة المطبوعات، ٢٠٠٠م)، ص١٧١.
(١٩) ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين، ص٢٨٩.
(٢٠) أبو الحسين مسلم بن الحجاج(ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، (القاهرة، دار ابن الهيثم،٢٠٠٣م)، ج٦، ص٤٨٠.
(٢١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم(ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، (مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز،٢٠٠٤م)، ج٦، ص١٥٤٧. ينظر: (ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (بيروت، دار المعرفة،١٩٩٨م)، مج٣، ص٢٥١).
(٢٢) البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص١٥٤٨.
(٢٣) البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص١٥٣٣، مسلم، صحيح مسلم، ج٦، ص٤٨٢.
(٢٤) البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص١٥٣٣.
(٢٥) صحيح مسلم، ج٦، ص٤٧٩.
(٢٦) م.ن، ج٦، ص٤٧٨.
(٢٧) عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، الدار اللبنانية، ٢٠٠٨م)، ج١١، ص٢٨.
(٢٨) ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، مج٣، ص٣٢٦.
(٢٩) الطبرسي، احمد بن علي بن ابي طالب(من علماء القرن السادس الهجري)، الاحتجاج، (طهران، منشورات الشريف الرضي،١٣٨٠هـ)،ج٢،ص١٦، ينظر: (الهلالي، سليم بن قيس(ت٧٦هـ)، كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، (قم، مطبعة نكارش،١٣٨٦هـ)، ج٢، ص٧٨٩ وما بعدها، عبد النبي، هادي، ثورة الإمام الحسين في المصنفات المصرية في القرن العشرين الميلادي،(بغداد، دار البصائر،٢٠١٤م)، ص١٤٥.
(٣٠) أبو الخير، علي، الأكثرية والإجماع في تاريخ الأمة، (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،٢٠١٢م)، ص١٥٩.
(٣١) بيضون، ثورة الحسين، ص١٧٢.
(٣٢) فضل الله، في رحاب أهل البيت، ص٢٨٤.
(٣٣) يعقوب، احمد حسين، كربلاء الثورة والمأساة، (بيروت، الغدير،١٩٩٧م)، ص٦٧.
(٣٤) هيفا رجي أنور، فاجعة كربلاء في الضمير العالمي الحديث (دراسة تحليلية لرؤى دينية وفكرية عالمية)، (بيروت، دار العلوم،٢٠٠٩م)، ص٢٤١.

(٣٥) م.ن، ص٢٥٣.
(٣٦) طه حسين، الفتنة الكبرى، ص٢٠٧.
(٣٧) م.ن، ص٢١١.
(٣٨) فضل الله، في رحاب أهل البيت، ص٣٠١.
(٣٩) يوليوس، تاريخ الدولة الأموية، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، (القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،٢٠٠٩م)، ص١٢٨.
(٤٠) كتاني، سليمان، الإمام الحسين في حلة البرفير دراسة أدبية تظهيرية في سيرة الإمام الحسين، (قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٠م)، ص١٣١.
(٤١) موضع بين العذيب وواقصة في ارض الحزن من ديار بني يربوع بن حنظلة. ينظر: (ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان،(بيروت، دار صادر،١٩٩٥م)، مج١، ص٥٣٢.
(٤٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٣، ص٤٥٣، ينظر: (ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، مج٣، ص٤٠٨.
(٤٣) ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد بن أحمد(ت٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: جعفر الحسني، (بيروت، المجمع العالمي لأهل البيت،٢٠١١م)، ص٢٤٠.
(٤٤) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النمري(ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٦م)، ج١، ص٢٣٠.
(٤٥) فضل الله، محمد جواد، صلح الإمام الحسن أسبابه ونتائجه، (قم، دار المثقف المسلم، بلا)، ص١٣٠.
(٤٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٢٨٧.
(٤٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عادل مرشد، (عمان، دار الأعلام،٢٠٠٢م)، ص١٨٠. ينظر: (الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، (بيروت، مطابع بيروت الحديثة،٢٠٠٩م)، مج١، ص٥٢٤.
(٤٨) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ينظر: (ابن عقيل، محمد بن عقيل بن عبد الله العلوي(ت١٣٥٠هـ)، النصائح الكافية، تحقيق: غالب الشابندر، (طهران، مطبعة ستارة، ٢٠٠٦م)، ص٢٤٨.
(٤٩) راضي، صلح الحسن، (بيروت، الأعلمي للمطبوعات،٢٠١٠م)، ص٢٣٣.
(٥٠) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦١.
(٥١) طه حسين، الفتنة الكبرى، ص٢٢٤.
(٥٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦١.
(٥٣) الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٤٧. ينظر: (ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النمري(ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، (بيروت، دار الفكر،٢٠٠٦م)، ج٢، ص٩٢).
(٥٤) أحمد بن علي(ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي(القاهرة، بلا، ٢٠٠٨م)، ج٧، ص٣٦٦.

(٥٥) م.ن، ج٢، ص١٦١.
(٥٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٣٠١.
(٥٧) السيوطي، جلال الدين(ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، (بيروت، دار الكت العلمية، ٢٠٠٨م)، ص١٢٥.
(٥٨) منفرد، علي نظري، قصة كربلاء، (قم، منشورات نصايح، ١٤٢٦هـ)، ص٣٦ص٣٧.
(٥٩) الفتنة الكبرى، ص٢٢٥.
(٦٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٣٣٧.
(٦١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢،ص١٦٢.
(٦٢) آل ياسين، صلح الحسن، ص٢٣٣.
(٦٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٢٩.
(٦٤) م.ن، ج١١، ص٢٩، ص٣٠.
(٦٥) م.ن، ج١١، ص٢٩.
(٦٦) م.ن، ج١١، ص٢٨.
(٦٧) تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٣٧٧.
(٦٨) م.ن، ج٣، ص٣٧٧.
(٦٩) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦١، نجف، محمد أمين، شخصيات مهمة من أصحاب النبي والأئمة عليهم السلام، (بيروت، دار المتقين،٢٠١٣م)، ص١٣٠.
(٧٠) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٣٧٧، مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد الرازي(ت٤٢١هـ)، تجارب الأمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، (طهران، دار سروش،٢٠٠١م)، ج٢، ص٢٠.
(٧١) محمد أمين، وخديجة عرفة، الأمن الإنساني المفهوم والتطبيق في الواقع العربي، (الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،٢٠٠٩م)، ص١٨.
(٧٢) يوسف، خولة محي الدين، الأمن الإنساني وأبعاده في القانون الدولي العام، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج٢٨، العدد٢، (دمشق،٢٠١٢م)، ص٥٣٣.
(٧٣) آل ياسين، صلح الحسن، ص٢٣٣.
(٧٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج٣، ص٣٢٦.
(٧٥) فتوح البلدان، (بيروت، دار الهلال، ١٩٨٨م)، ص٣٩٦. ينظر:(ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، (طهران، مطبعة شريعت،١٤٢٧هـ)، ص٣٠٠.
(٧٦) شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٢٩.
(٧٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٣٨٢.
(٧٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٣٣١.
(٧٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٣٨٧.

(٨٠) الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣١١.
(٨١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٩٨.
(٨٢) الرواضية، صالح محمد، زياد بن أبيه ودورة في الحياة العامة في صدر الإسلام، (مؤتة، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٤م)، ص١٤٥.
(٨٣) عبد النبي، هادي، ثورة الإمام الحسين في المصنفات المصرية في القرن العشرين الميلادي، (بغداد، دار البصائر، ٢٠١٤م)، ص١٣٤.
(٨٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن(ت٤٦٣هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أمير مهنا، (بيروت، مؤسسة الأعلمي،٢٠١٠م)، ج٣، ص٥٣.
(٨٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٣٥٨.
(٨٦) ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص٣٠٧ ص٣١٤.
(٨٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٣٧٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٣٢٤.
(٨٨) ابن هبيرة العصفري (ت٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق، أكرم ضياء العمري، (الرياض، دار طيبة، ١٩٨٥م)، ص٢٢٩.
(٨٩) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٣.
(٩٠) يعقوب بن إبراهيم(ت١٧٩هـ)، الخراج (في التراث الاقتصادي الإسلامي)، تقديم: الفضل شلق، (بيروت، دار الحداثة، ١٩٩٠م)، ص١٦٨.
(٩١) يحيى بن سليمان القرشي(ت٢٠٣هـ)، الخراج (في التراث الاقتصادي الإسلامي)، تقديم: الفضل شلق، (بيروت، دار الحداثة، ١٩٩٠م)، ص٤٥٢.
(٩٢) ينظر: (الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت٤٦٠هـ)، النهاية في مجرد الفقه والفتاوي، (بيروت، دار الكتاب العربي،١٩٧٠م)، ص١٩٩، المحقق الحلي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسين(ت٦٧٦هـ)، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، تعليق: صادق الشيرازي، (قم، مطبعة أمير،١٤٢١هـ)، ج١، ص١٣٧، الحر العاملي، محمد بن الحسن(١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، (بيروت، مؤسسة آل البيت عليهم السلام،٢٠٠٣م)، ج٩، ص٥٢٣.
(٩٣) الشيخ الطوسي، النهاية، ص١٩٩.
(٩٤) الخراج، ص١٦٨.
(٩٥) أبو الفرج الكاتب (ت٣٣٧هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، تعليق: محمد حسين الزبيدي، (بغداد، دار الحرية، ١٩٨١م)، ص٢١٧.
(٩٦) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م)، ج٤، ص٢٨٠ ص٢٨١.
(٩٧) خزنه كاتبي، غيداء، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري (الممارسات والنظرية)، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧م)، ص٣٠٣.

(٩٨) تجارب الأمم، ج٢،ص٢٣.
(٩٩) م.ن، ج٢، ص٢٣.
(١٠٠) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٣.
(١٠١) العميد، سلوى، الشهيد في تراث السنة والشيعة نموذج الحسين بن علي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية، (بيروت،١٩٨٧م)، ص٦٢.
(١٠٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٤٣.
(١٠٣) ابن أعثم أحمد الكوفي (ت٣١٤هـ)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، (بيروت، دار الأضواء، ١٩٩١م)، ج٥، ص٢٥.
(١٠٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٢١.
(١٠٥) خلد محمد، أبناء الرسول في كربلاء، ص٨٩.
(١٠٦) بارا، انطوان، الحسين في الفكر المسيحي، (بيروت، دار العلوم، ٢٠٠٩م)، ص٧٦ ص٧٧.
(١٠٧) العلايلي، الحسين، ص٩٢.
(١٠٨) م.ن، ص٩٩.
(١٠٩) خالد محمد، أبناء الرسول في كربلاء، ص١٠٢.
(١١٠) الفتنة الكبرى، ص٢٣٩.
(١١١) العلايلي، الحسين، ص٩٩.
(١١٢) الطبري، استشهاد الحسين، تحقيق: السيد الجميلي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م)، ص١١٧.
(١١٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٤٣.
(١١٤) ابن كثير، البداية والنهاية،ج٨،ص١٦٧،لعلايلي، الحسين، ص٩٩.
(١١٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٣ ص١٧٤.
(١١٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٤٦.
(١١٧) المنقري، نصر بن مزاحم(ت٢١٢هـ)، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الجيل، ١٩٩٠م)، ص١١٥.
(١١٨) ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٨.
(١١٩) أبو حنيفة، أحمد بن داود(ت٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، (القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٥٩م)، ص٢٢٧.
(١٢١) سيد الأهل، عبد العزيز، زينب عقيلة بني هاشم، (بيروت، دار العلم للملايين،١٩٥٣م)، ص٤.
(١٢١) خالد محمد، أبناء الرسول، ص٩٠.
(١٢٢) عبد النبي، ثورة الامام الحسين، ص٢٢٧.
(١٢٣) م.ن، ص٢٢٨.

(١٢٤) خالد محمد، أبناء الرسول، ص١٠٣.
(١٢٥) صالح، أحمد عباس، اليمين واليسار في الإسلام، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م)، ص١٦٢.
(١٢٦) بيضون، ثورة الحسين، ص١٦٤.
(١٢٧) المودودي، لماذا استشهد الامام الحسين، ص٢٩.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر.


ابن أبي الحديد،عز الدين بن هبة الله المدائني(ت٦٥٦هـ)

١- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، الدار اللبنانية، ٢٠٠٨م).

ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني(ت٦٣٠هـ)

٢- الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)

ابن ادم القرشي، يحيى بن سليمان(ت٢٠٣هـ)

٣- الخراج (في التراث الاقتصادي الإسلامي)، تقديم: الفضل شلق، (بيروت، دار الحداثة، ١٩٩٠م).

ابن أعثم، أحمد الكوفي(ت٣١٤هـ)

٤- الفتوح، تحقيق: علي شيري، (بيروت، دار الأضواء، ١٩٩١م).

البخاري، محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ)

٥- صحيح البخاري، (مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤م)

البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)

٦- فتوح البلدان، (بيروت، دار الهلال،١٩٨٨م)

٧- انساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي،(بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٤هـ).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(ت٨٥٢هـ)

٨- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، بلا، ٢٠٠٨م).

الحر العاملي، محمد بن الحسن(ت١١٠٤هـ)

٩- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، (بيروت، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ٢٠٠٣م).

خليفة بن خياط، ابن هبيرة العصفري(ت٢٤٠هـ)

١٠- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (الرياض، دار طيبة،١٩٨٥م).

ابن سعد، محمد الزهري(ت٢٣٠هـ)

١١- الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة، الشركة الدولية للطباعة، ٢٠٠١م).

السيوطي، جلال الدين(ت٩١١هـ)

١٢- تاريخ الخلفاء، (بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٨م).

ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد بن احمد(ت٨٥٥هـ)

١٣- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق:جعفر الحسني، (بيروت، المجمع العالمي لأهل البيت، ٢٠١١م).

الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب(من علماء القرن السادس الهجري)

١٤- الاحتجاج، (طهران، منشورات الشريف الرضي، ١٣٨٠هـ).

الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)

١٥- تاريخ الأمم والملوك، (بيروت، دار الأميرة، ٢٠١٠م).

١٦- استشهاد الحسين، تحقيق: السيد الجميلي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م).

الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)

١٧- النهاية في مجرد الفقه والفتاوي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٠م).

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النمري(ت٤٦٣هـ)

١٨- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٦م).

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين الشافعي(ت٥٧١هـ)

١٩- ترجمة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين من تاريخ دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (قم، فروردين،١٤١٤هـ).

ابن قتيبة الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود(ت٢٨٢هـ)

٢٠- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد السلام عامر، (القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،١٩٥٩م).

ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)

٢١- الإمامة والسياسة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).

٢٢- المعارف، تحقيق، ثروة عكاشة، (طهران، مطبعة شريعت،١٤٢٧هـ).

قدامة بن جعفر، أبو الفرج الكاتب (ت٣٣٧هـ)

٢٣- الخراج وصناعة الكتابة، تعليق: محمد حسين الزبيدي، (بغداد، دار الحرية،١٩٨١م).

ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)

٢٤- سنن ابن ماجه، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (بيروت، دار المعرفة،١٩٩٨م).

المحقق الحلي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسين(ت٦٧٦هـ)

٢٥- شرائع الإسلام في معرفة الحلال والحرام، تعليق: صادق الشيرازي، (قم، مطبعة أمير، ١٤٢١هـ).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)

٢٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أمير مهنا، (بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠١٠م).

مسكوية، أبو علي احمد بن محمد الرازي(ت٤٢١هـ)

٢٧- تجارب الأمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، (طهران، دار سروش،٢٠٠١م).

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)

٢٨- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، (القاهرة، دار ابن الهيثم، ٢٠٠٣م).

المنقري، نصر بن مزاحم(ت٢١٢هـ)

٢٩- وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الجيل، ١٩٩٠م).

الهلالي، سليم بن قيس(ت٧٦هـ)

٣٠- كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، (قم، مطبعة نكارش، ١٣٨٦هـ).

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)

٣١- معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م).

اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن جعفر(ت٢٩٢هـ)

٣٢- تاريخ اليعقوبي، (قم، مطبعة مهر،١٤٢٥هـ).

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم(ت١٧٩هـ)

٣٣- الخراج (في التراث الاقتصادي الإسلامي)، تقديم: الفضل شلق، (بيروت، دار الحداثة، ١٩٩٠م).

## ثانياً: المراجع.

بارا، أنطوان

٣٤- الحسين في الفكر المسيحي، (بيروت، دار العلوم، ٢٠٠٩م).

بيضون، إبراهيم

٣٥- ثورة الحسين حدثا وإشكاليات، (بيروت، شركة المطبوعات، ٢٠٠٠م).

الحسني،هاشم معروف

٣٦- سيرة الأئمة الاثني عشر، (بيروت، مطابع بيروت الحديثة، ٢٠٠٩م).

حسين، طه

٣٧- الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٤م).

خالد، محمد خالد

٣٨- أبناء الرسول في كربلاء، (القاهرة، دار المقطم، ٢٠٠٤م).

خزنة كاتبي، غيداء

٣٩- الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري (الممارسات والنظرية)، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٧م).

أبو الخير، علي

٤٠- الأكثرية والإجماع في تاريخ الأمة، (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٢م).

الرواضية، صالح محمد

٤١- زياد بن أبيه ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام، (مؤته، منشورات جامعة مؤتة،١٩٩٤م).

سيد الأهل، عبد العزيز

٤٢- زينب عقيلة بني هاشم، (بيروت، دار العلم للملايين،١٩٥٣م).

صاحب، أحمد عليوي

٤٣- مسيرة الإمام الحسين إلى كربلاء (دراسة تحليلية)، (كربلاء، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠١٤م).

صالح، أحمد عباس

٤٤- اليمين واليسار في الإسلام، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٧٩م).

عبد النبي، هادي

٤٥- ثورة الإمام الحسين عليه السلام في المصنفات المصرية في القرن العشرين الميلادي، (بغداد، دار البصائر، ٢٠١٤م).

ابن عقيل، محمد بن عقيل بن عب دالله العلوي(ت١٣٥٠هـ)

٤٦- النصائح الكافية، تحقيق، غالب الشابندر، (طهران، مطبعة ستارة، ٢٠٠٦م).

العلايلي، عبد الله

٤٧- الإمام الحسين، (بيروت، دار ومكتبة التربية، ١٩٧٢م).

فضل الله، محمد جواد

٤٨- صلح الإمام الحسن أسبابه ونتائجه، (قم، دار المثقف المسلم، بلا).

فضل الله، محمد حسين

٤٩- في رحاب أهل البيت، إعداد: سليم الحسني، (بيروت، دار الملاك،٢٠٠١م).

فلهوزن، يوليوس

٥٠- تاريخ الدولة الأموية، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريده، (القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ٢٠٠٩م).

كتاني، سليمان

٥١- الإمام الحسين في حلة البرفير دراسة تظهيرية في سيرة الإمام الحسين، (قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٠م).

محمد أمين، خديجة عرفة

٥٢- الأمن الإنساني المفهوم والتطبيق في الواقع العربي، (الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،٢٠٠٩م)،

المودودي، عبد الأعلى

٥٣- لماذا استشهد الإمام الحسين، (القاهرة، دار المختار الإسلامي، بلا).

منفرد، علي نظري

٥٤- قصة كربلاء، (قم، منشورات نصايح، ١٤٢٦هـ).

نجف، محمد أمين

٥٥- شخصيات مهمة من أصحاب النبي والأئمة عليهم السلام، (بيروت، دار المتقين،٢٠١٣م).

هيفا، راجي أنور

٥٦- فاجعة كربلاء في الضمير العالمي الحديث (دراسة تحليلية لرؤى دينية وفكرية عالمية)، (بيروت، دار العلوم، ٢٠٠٩م).

آل ياسين، راضي

٥٧- صلح الحسن، (بيروت، مؤسسة الأعلمي،٢٠١٠م).

يعقوب، أحمد حسين

٥٨- كربلاء الثورة والمأساة، (بيروت، الغدير،١٩٩٧م).

يوسف، خولة محي الدين

٥٩- الأمن الإنساني وأبعاده في القانون الدولي العام، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج٢٨، العدد٢، (دمشق،٢٠١٢م).

**ثالثاً: الرسائل.**

العميد، سلوى

٦٠- الشهيد في تراث السنة والشيعة نموذج الحسين بن علي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية، (بيروت،١٩٨٧م).